الناحية التطبيقية للجيوبولتيك في السياسة الخارجية الأمريكية (موقع حلف شمال الأطلنطي من الجيوبولتيكا الأمريكية)

بحث مقدم من

دكتور/ قدري محمود إسماعيل امام

المدرس بقسم العلوم السياسية

كلية التجارة – جامعة الاسكندرية

موضوع البحث:

على الرغم من أن البعض لا يربطون بين النظريات الجيوبوليتيكية ومجريات السياسة الدولية والتحالف العسكري، إلا أننا نؤمن بأن الدولة العملاقة Super power تأخذ بأسس هذه النظريات فيما يتعلق بسياستها الدولية للسيطرة العالمية.(١)

إن النظريات الجيوبوليكية هي بمثابة الأساس الذي وضع لتسير وفقاً له السياسات الخارجية للدول الكبرى، فقد أشار راتزال إلى تلك الرابطة التي أوجدها بين المساحات القارية الكبيرة للدولة وبين القوة السياسية، إن التغيرات التي تطرأ على الشكل السياسي للدولة والمكان والموقع هي في نظر راتزال عوامل اساسية وجوهرية في قوة الدولة في المجال الدولي، وقد ربط ماكيندر أيضاً بين المساحات الضخمة والواقع المكاني وقوة الدولة وأعطاها هاوسهوفر المكانة الأولى في العالم، وقد ارتبط اسم ماكيندر بنظرية قلب الأرض الاستراتيجي Heart land وهي النظرية التي شغلت الباحثين الألمان وعملوا على وضعها في الاستراتيجيات الالمانية لتنفيذها للسيطرة العالمية وهو ما تم بالفعل.

إن قلب الأرض إذاً وفقاً لنظريات ماكيندر هي ذلك الجزء الداخلي من أور أسيا وهو مركز العالم سياسياً وقد حذر من أن حكم قلب أكبر كتلة أرضية في العالم يمكن أن يعطي الأساس التي تبنى عليه السيطرة العالمية. لذلك حذر ماكيندر من خطورة قيام تحالف بين ألمانيا وروسيا لأن سكان هذين البلدين يمثلون منطقة قلب الأرض بما يتيح لهم الايقاع بالأمبراطورية البريطانية لذلك دعا ماكيندر لسياسة جيوبولتيكية تهدف إلى تقارب روسي/ بريطاني ومن ناحية أخرى أعطى ماكيندر أهمية مماثلة لأهمية قلب الأرض لما سماه وحدة أقليم الأطلنطي الشمالي واعتبرها قوة موجهة إلى قلب الأرض ومهددة له.

ومن المتعارف عليه أن فكرة منطقة القلب تلائم عالماً سيدخل الحرب، وهذا هو السبب الذي دفع العاملين في حقل الجيوبولتكس أن يهتموا بها. خاصة هاوسهوفر K. Houshofer الألماني الذي أهتم بكتابات ماكيندر واستخلص منها بأن طريق الألمان للسيطرة العالمية يسير وفق الخطوط التي أرعبت الانجليز ألا وهي توحيد المناطق العظيمة في كل من روسيا وألمانيا.

كذلك نجد إعترافاً صريحاً من جانب واضعي الاستراتيجيات الحكومية في الدول الغربية والولايات المتحدة وحلف شمال الأطلنطي الذي نشأ لأسباب جيواستراتيجية بأن ماكيندر كان على حق في آرائه، لذلك أصبح الاستراتجيون الغربيون ينظرون إلى العالم نظرة ماكيندر، ومن ثم فالاستراتيجية الغربية بأحلافها العديدة، ماهي إلا محاولات من جانب واضعوا هذه الاستراتيجية لتطويق القوى السوفيتية، أو بعبارة أخرى لتطويق منطقة قلب الأرض.

---

(١) د. عبد المنعم عبد الوهاب، جغرافية العلاقات السياسية، منشورات الوحدة للنشر والتوزيع، ١٩٧٧، ص ١٦٠.

من ناحية أخرى أرتضت السياسة الخارجية الأمريكية بالمبادئ الاستراتيجية التي وضعها ماهان A.T. Mahan واتخذت منها أساساً صالحاً لاستراتيجيتها العالمية، أن الفكرة الأساسية من إنشاء قواعد استراتيجية في مناطق بعيدة عن حدود أرضها تقوم على اعتبار هو أن بعد مراكز دفاعها الخارجية يتيح لهذه المراكز إمكانية القيام بهدفين هما:

١ - غلق طريق الوصول إلى أراضيها بوجه المعتدي.

٢ - جعل احتمال هجوم قواتها قريباً من مراكز العدو الحساسة.

وارتباطاً بالافكار الاستراتيجية البحرية لماهان نجد أن محيط الدفاع الأمريكي يمتد من قواعدها في البحر الكاريبي إلى نيوفوندلاند وجرينلاند وأيسلاند والمملكة المتحدة وأوروبا الغربية وجزر الأزور وغيرها، وكل هذه المناطق تمثل مناطق دفاع أمريكي تعتمد على قوتها البحرية.

ومن أهم الأفكار التي ارتبطت بها السياسة الخارجية الأمريكية افكار نيكولاس سبيكمان (N.Spykman) في شأن منطقة الاطار Rimland وتضم أوربا العربية والشرق الأوسط والهند وجنوب شرق أسيا، وأوضح سبيكمان أن نجاح تكوين وحدة، أوربية غربية يتوقف على أن تفرض أوربا الموحدة سلطانها المطلق على البحر المتوسط من الشرق الأوسط ثم السيطرة على بقية أفريقيا تمهيداً للأستيلاء على بقية دول الإطار.

كل هذه الأفكار أوجدت الناحية التطبيقية للجيوبولتكس في السياسة الخارجية الأمريكية، فهي لم تتجاهل تلك النظريات خاصة بعد الحرب العالمية الثانية في مواجهة السوفيت، فقد أخذت بكل الوسائل العسكرية والاقتصادية والجغرافية، ووضعتها في خدمة سياستها الخارجية لتحد من إمكانية التوسع لمنطقة قلب الأرض خاصة بعد أن سيطر الاتحاد السوفيتي على شرق أوربا وأدخله ضمن مجاله الجغرافي.

لقد اتجهت الولايات المتحدة بقوة إلى أوربا حتى لا تسقط في قبضة الشيوعية، فمن الناحية الاقتصادية أخذت بمشروع مارشال ومن الناحية الجيوستراتيجية اتجهت إلى سلسلة الأحلاف لتطويق منطقة القلب، وجعلته قلب حبيس واتجهت في عهد دالاس إلى ربط مناطق عديدة من العالم خاصة تلك المناطق التي تقع ضمن نظرية الاطراف لسبيكمان والتي تتماشى مع مناطق الهلال الخارجي لنظرية ماكيندر، لذلك أقامت مجموعة من الأحلاف أهمها حلف شمال الأطلنطي Nato، ثم حلف بغداد Cento، وحلف جنوب شرق أسيا Seato، وحلف الانزوس Anzus وهي أحلاف لتطويق منطقة قلب الأرض الاستراتيجية.

إن حدود حلف شمال الأطلنطي بصفة خاصة تتماشى مع المناطق التي حددها سبيكمان في نظرية الأطراف Rim land والتي دعا فيها إلى إيجاد قوة عسكرية جبارة تهيمن عليها الولايات

المتحدة وتسيطر على مناطق الهلال الخارجي (ومن ثم تستطيع أن تطوق منطقة القلب ومن ثم تمهيداً للسيطرة العالمية)

ولم تترك الولايات المتحدة أي مسلك لفرض سيطرتها ولتطويق منطقة القلب فقد ارتبطت بآراء دي سفرسكي الذي أقترح إنشاء إستراتيجية جوية أمريكية وأقترح سيطرة الولايات المتحدة على القطب الشمالي والمنطقة القطبية وبالفعل أنشأت الولايات المتحدة ذلك الخط الراداري وأسمته distance early worning والذي من ثناياه يتم التعرف على التحركات السوفيتية بدقة.

من الواضح أذن أن الولايات المتحدة أخذت بالافكار الجيوبولتيكية في المجال البري (ماكيندر) وفي المجال البحري (ماهان) وفي المجال الجوي (دي سفرسكي) ولذلك تكون الولايات المتحدة قد أرتبطت بالافكار الجيوبولتيكية ومن المعروف أن حلف شمال الأطلنطي هو أكثر الأحلاف التي تعتمد عليها الولايات المتحدة فليس من المستبعد إذن أن يكون هذا الحلف هو أول مستقبل ومنفذ للجيوبولتيكا والاستراتيجية الأمريكية.

هدف البحث:

توضيح الناحية التطبيقية للجيوبولتكس في السياسة الخارجية الامريكية في ظل الأوضاع السياسية الجديدة، وموقع حلف شمال الأطلنطي منها.

منهج البحث:

يعتمد هذا البحث على المنهج العلمي منهجاً للتفسير والوقوف على حقيقة الأفكار الجيوبولتيكية وموقع حلف شمال الأطلنطي منها.

المحتوى البحثي:

أولاً : طبيعة حلف شمال الأطلنطي في ضوء الجيوبولتيكا الأمريكية.

ثانياً : الناحية التطبيقية للجيوبولتكس في السياسة الخارجية الأمريكية بعد انحلال U.S.S.R.

١ – أهمية الحلفاء بالنسبة للجيوبولتيكا الأمريكية.

٢ – العلاقة الارتباطية بين الأمن الأمريكي والأمن الأوروبي.

ثالثاً : أثر انحلال الاتحاد السوفيتي على العقيدة الجيوستراتيجية للحلف.

رابعاً : تطور العقيدة الاستراتيجية والأمنية للحلف في ضوء الجيولتيكا الأمريكية الجديدة.

خامساً: عولمة الأطلنطي (السيطرة العالمية للحلف).

أولا : طبيعة حلف شمال الأطلنطي في ضوء الجيوبولتيكا الأمريكية:

في إطار النسق الدولي ثنائي القوى القطبية كانت كل من القوتين القطبيتين المتنافستين بل والمتعاديتين بحكم موقعها في النسق، تسعى إلى أن تكون دائما على درجة من القوة بحيث لا تصبح تحت رحمة القوة القطبية الأخرى، وهي تحقيقا لذلك تلجأ إلى أساليب من أهمها الأحلاف وللأحلاف دورها كأساليب لتحقيق ميزان القوة في النسق ثنائي القوة القطبية فكل لاعب رئيس هو بحكم هذا التعدد - العدو المرتقب والحليف المحتمل في نفس الوقت لأي لاعب آخر الأمر الذي يجعل من أحلاف هذا النسق أحلاف هشة لا دوام لها، ذلك بينما في النسق ثنائي القوى القطبية، يتعادى القطبان بحكم موقعهما عداء دائما الأمر الذي يخلع على أحلاف كل منها طابع الدوام، وفي الأنساق المتعددة القوى القطبية لا يعرف الحلف دولة تترأسه بينما في النسق الثنائي يمثل الحلفاء لإرادة الدولة القطبية"[١].

والحلف الذي نحن بصدده (حلف شمال الأطلنطي) هو من نوع الأحلاف التعاقدية - فهو التزام تعاقدي بين عدد من الدول يوجه عادة ضد دولة - دول محددة وينشأ عنه منظمة تعمل على تنفيذ أهداف الالتزام وهي عادة تتسم بطابع رسمي مع وجود معاهدة أو إتفاق.[٢]

إن نشأة حلف شمال الأطلسي وإن أرتبطت بالمتغيرات الدولية بعد الحرب العالمية الثانية فهو يختلف عن الأحلاف الأخرى التي ظهرت في تلك الفترة فهو لم يعلن صراحة على أنه موجه لأحد ولذلك فقد فتح باب العضوية لكل الدول الأوزبية بما فيها الاتحاد السوفيتي لذلك يمكن القول أن هذا التحالف كان أقرب إلى العصبة أو التكتل منه إلى الحلف.

إن مفهوم الكتلة (International Bloc) يعني إتباع عدد من الدول لخط مشترك في مجال السياسة والدفاع والاقتصاد والتجارة"[٣] وقد يكون هذا التكتل موجها ضد مجموعة أخرى أو أن يكون هدفه التعاون بين الدول الداخله فيه.

لقد انتهت أحداث الحرب العالمية الثانية ونتائجها بالعالم إلى قوتين قطبيتين أثنتين هما الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي. وهما قطبان عالميان، لا أوروبيان، وعلى عكس الحال في النسق متعدد القطاب وحيث كان اللاعبون الرئيسيون ينتمون جميعا إلى القوى الأوروبية. أنهما قطبان عالميان بموقعهما الجغرافي وبتواجدهما العالمي، فالاتحاد السوفيتي يعمل من موسكو إلى من (قلب الأرض) القديمة (أوراسيا) متجها بقوتها القطبية من العالم الجديد (أمريكا)

---

(١) د. محمد طه بدوي، النظرية العامة للعلاقات الدولية، المكتب المصري الحديث، ١٩٩٢، ص ٢٦٨.

(2) David Edwards "International Political Analysis Holt Rinhat and Winston Inc., New York, p. 206.

(٣) د. عماد جاد، حلف الأطلنطي، مهام جديدة في بيئة مغايرة، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، ١٩٩٨، ص ٢٢.

نحو أمبراطورية تمتد وراء البحار. أنهما - إذن - امبراطوريتا: البر السوفيتية والبحر الأمريكية التي سعت كل واحدة منهما إلى التواجد العالمي، الأمر الذي أستتبعه - بحكم توازنهما في القوة - تواجدهما الثنائي على أرض العالم الثالث ولكي يتخذا منها هدفاً وملعباً لهما في نفس الوقت.

والاستراتيجية الجغرافية لأمبراطورية البر السوفيتية - أو أن شئنا "امبراطورية الدب" - تشارك استراتيجية امبراطورية البحر الأمريكية - أو أن شئنا "امبراطورية الحوت" - نفس الملامح التشكيلية فكلاهما يتشكل في دائرتين: (الكتلة) أو (الامتداد)، ولكل من هاتين الدائرتين طبيعتها ووظيفتها في بناء قوة القطب والتأكيد لاستمرارها فماذا نعني بكل من (الكتلة) و (الامتداد) هذين، في النسق الدولي العالمي الراهن.

إن صورة توزيع القوى التي أسفرت عنها نتائج الحرب العالمية الثانية هي التي هيأت - وبميكانيتها ذاتها - إلى ظاهرة الكتلة Bloc الجديدة.

لقد أخرجت تلك الحرب بعض اللاعبين الرئيسيين القدامى من صف اللاعبين كما هبطت بالبعض الآخر إلى مرتبة لاعبي الدرجة الثانية، فلم تترك بالنسبة للاعبي الدرجة الاولى - أي بالنسبة للاعبين الرئيسيين الذين يقررون دائما صورة النسق - إلا لاعبين اثنين هما الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة. وبهذا الواقع الجديد لثنائية القوى القطبية، ترتبط ظاهرة (الكتلة).

إن ثنائية القوى القطبية تعني بطبيعتها التنافس بين القوتين بل أن القوتين القطبيتين يتعاديان بحكم موقعهما هذا في سلم القوى داخل النسق، أي حتى في غيبة أية صورة للتصادم بين المصالح المادية أو الايديولوجية ومن حتمية هذا العداء بحكم الموقع، كان السعي المتواصل من جانب كل من القطبين إلى التحصين الذاتي في مواجهة الآخر، ومن ثم من أجل الإبقاء على (ميزان القوة) بينهما. وهنا تبرز ضرورة الالتجاء إلى (سياسة التحالف)، ولكن التحالف هذه المرة قد راح يرتبط بعوامل جديدة جعلت منه ظاهرة (الكتلة Bloc).

(فالكتلة) حلف، غير أنه حلف من نوع جديد، استدعت في هذه النوعية المنافسة الأيديولوجية بين القوتين القطبيتين في النسق الدولي الراهن والتي تراكم عليها العداء الحتمي بينها بحكم موقعهما في النسق. ولما كانت المنافسة بين أيدلوجيتي القطبين (الشيوعية والرأسمالية) هي بالضرورة دائمة فإن الأحلاف التي تقوم في خدمتها لا بد أن تكون عاملة على الدوام، فلا تعترف بالتمييز التقليدي بين أوقات السلم وأوقات الحرب، وفي هذا تكمن عوامل (نوعية) ظاهرة الكتلة الجديدة

لقد كانت الاحلاف فيما مضى تقوم - بصفة اصلية - على الالتزام بالمساعدة العسكرية في حالة نشوب الحرب، وقلما كانت تعني حتى بمجرد تنظيم الاتصال بين القيادات المتحالفة من

أجل رسم الاستراتيجيات المشتركة أستعداداً لحالة الحرب. ومن ثم فـــإن الحلـــف في مفهومـــه التقليدي كان يبرم لكي لا يعمل إلا في أوقات الحرب دون أوقات السلم. وفي هذا المجال تتمثـــل (نوعية الكتلة) في أنها لا تعرف هذا التميز بين الحرب والسلم فهي تعمل عملاً متواصلاً، بتنظيـــم دائم ذي وظائف وأهداف دائمة، وذلك تبعاً لدوام التنافس الايدلوجي بين القطبين من ناحيـــة، وتبعاً لعدائهما الدائم بحكم موقعهما في النسق من ناحية أخرى، وبهذه النوعية راحت كل كتلـــة من الكتلتين الجديدتين القطبيتين ترتبط بوحدة أيدلوجية وبحلف عسكري تقوم عليه منظمة دائمـــة تجعل من أعضائه عصبة عاملة في مواجهة العصبة الأخرى في وقت السلم وفي وقت الحرب علـــى السواء، وفي شتى المجالات العسكرية والاقتصادية والأيديولوجية، هذا ولسنا في حاجة إلى القـــول أن ثنائية القوى القطبية في النسق ثنائي القطبية أضافت إلى معالم نوعية ظاهرة (الكتلة) في مواجهة (الحلف التقليدي)، خاصية أخرى تتمثل في أن الحلف في (الكتلة) يعمل بزعامة دولـــة قطبيـــة تواجه، كتلة الدولة الثانية، بينما لم تكن الدول أطراف الأحلاف القديمة تـــأتمر بدولـــة تـــتزعم الحلف.

وجملة القول إذاً في شأن نوعية (الكتلة) - في مواجهة (الحلف) التقليدي - أن (الكتلـــة) عصبة أيديولوجية عسكرية تعمل حتى في أوقات السلم، بينما العصبة - في الحلف التقليـــدي - لا تتحرك إلا في أوقات الحرب.

وبهذه الخصائص التي تظهر بها الكتلة على الحلف التقليدي، تتجـــه الكتلـــة إلى فكـــرة التكامل الأيديولوجي الاقتصادي والسياسي تحت زعامة الدولة القطبية، الأمر الذي يجعل من كل من الكتلتين الدائرة الثابتة لدولتها الزعيمة والتي يتعين على الدولة القطبية الثانية التي تمتنع عـــن أي عمل فيه مساس بحدودها وإلا فأنها تكون قد أخلت بصورة التوزيع العالمي للقوى، ومـــن ثم بميزان القوى بين القطبين، وهو أمر لا يقبل عليه أي من القطبين بحتمية (الافناء الذاتي) المتبـــادل بعامل (التوازن النووي).

وبهذه الصورة العاملة (للكتلة) نستطيع القول أن كل من الكتلتين كتلة: حلف وارســـو المبرم في ١٤ مايو ١٩٥٥ بزعامة الأتحاد السوفيتي، وكتلة: حلف الأطلنطي المبرم في ٤ أبريـــل ١٩٤٩ - هي في دولتها القطبية بمثابة العصبة الدائمة والدائرة الثابتة، فبالنسبة للكتلة السـوفيتية، وهي (الدائرة الثابتة للقطب الشيوعي في أوربا الشرقية، فإنها تتكون (بحلف وارسو المبرم في ١٤ مايو ١٩٥٥) بزعامة الآتحاد السوفيتي من.. البانيا - ألمانيا الشرقية - بلغاريا - المجر - بولنـــدا - تشيكوسلوفاكيا - رومانيا ثم أخرجت ألبانيا من الحلف على أثر الخلاف المذهبي بينها وبين الاتحاد السوفيتي وانحيازها للصين الشعبية. فلو أننا أضفنا إلى هذه الكتلة العالم السوفيتي في آسيا لتصورنا الأبعاد الجغرافية الاستراتيجية للأمبراطورية السوفيتية والتي بلغت عام ١٩٦٣ أثنتا عشر دولـــة،

سبعة منها في أوروبا الشرقية وخمسة في آسيا مشكلة بذلك أمبراطورية البر التي تنطلق من قلب الأرض القديمة (أوراسيا) لتمتد في أوربا غربا وفي أسيا شرقا متجهة نحو أطراف كل من القارتين.

ولقد كان على الولايات المتحدة أن تدخل ذلك في الاعتبار عند تصوير جغرافيتها الاستراتيجية في أسيا. لقد كان عليها أن تطوق دائرة الدبه الثابتة في أوروبا وأسيا بمجموعة من أحلاف تقيمها على أطرافها فتسد بها الطريق في وجه الشيوعية إلى الغرب، فكانت الدائرة الثابتة لأمبراطورية البحر الأمريكية. والتي تشكلت على أساس من مجموعة من أحلاف، أتسم حلفها الأكبر (حلف الأطلنطي، بسمات (الكتلة) فكانت الكتلة الغربية (والتي أنعقد حلفها في ٤ أبريل ١٩٤٩) بزعامة الولايات المتحدة وعضوية : أنجلترا - فرنسا - كندا - بلجيكا - ايرلندا - الدنمارك - هولندا - ايطاليا - النرويج - لكسمبورج - البرتغال - ثم ألمانيا الغربية واليونان وتركيا فيما بعد، وذلك في مواجهة الكتلة السوفيتية شرق أوروبا. ثم كانت مجموعة الأحلاف التي أرادت الولايات المتحدة الأمريكية أن تطوق بها أمبراطورية الدب البرية في أسيا ولكي تغلق بها (طريق لينين) المرتقب إلى الغرب.. أتفاقات دفاعية مع كل من اليابان وفرموزا - حلف ١٩٥٢، ومع أستراليا ونيوزيلندا A.N.Z.U.S - حلف جنوب شرق أسيا لعام ١٩٥٤ OTASE .. من الولايات المتحدة - المملكة المتحدة - فرنسا - أستراليا - تايلاند - الفلبين - الباكستان) - ثم الحلف المركزي CENTO - ١٩٥٩ - (حلف بغداد سابقا) ويضم بريطانيا العظمى - وتركيا - وإيران - وباكستان وتؤيده الولايات المتحدة الأمريكية عسكريا.

وهكذا تتصور الدائرة الثانية لأمبراطورية البحر الأمريكية في خريطة تمثل تواجدها العالمي من خلال بحار. فهي تنطلق من إحاطتها الكاملة بالقارة الأمريكية إلى ما وراء المحيط لتضرب - بالأحلاف - طوقا ساحليا حول دائرة الدب البرية الثابتة في أوروبا وأسيا والتي تنطلق من قلب الأرض متجهة إلى جنوب وجنوب شرق آسيا وإلى الشرق الأوسط باعتبارها أقرب الطرق المؤدية إلى الغرب.

ومفهوم الكتلة بهذا المعنى أشمل وأعم من مفهوم الحلف لذلك نستطيع القول بأن الحلف قد يمتد عمله من المجال العسكري والدفاع فقط إلى العمل في مجالات أخرى ويتأتى ذلك نتيجة مجموعة من العوامل:

١ - تبني دول الحلف سياسات واحدة فترة زمنية كبيرة تؤكد على قدرتهم على تطويره للعمل في مجالات أخرى.

٢ - رغبة الدول المكونة له في استمرارية عمل الحلف وتوسيع نشاطه.

٣ - إحساس الدول المكونة للحلف أن في بقاءه تحقيق مصالح مشتركة لجميع أعضاؤه.

٤ – رغبة الدولة القطب في استمرارية عمل الحلف برغم من إنتفاء الصفة العدوانية له ارتباطاً برغبتها في التعامل مع الحلفاء أو استمرار ربطهم بسياسة الدولة القطب.

٥ – إن الدولة القطب في سعيها للسيطرة العالمية لا تستطيع منفردة أن تعمل بحرية لذلك فهي تحتاج لحلفاء على درجة من الاستعداد تمكنهم من العمل معها في مناطق عالمية لذلك تتجه الدولة القطب إلى تسليح حلفاؤها.

إن استمرارية عمل الحلف فترة زمنية كافية إنما يضفي على الحلف مجموعة من الخصائص مميزة عن الأحلاف العسكرية وتقربه من شكل المنظمات، أن حلف شمال الأطلسي منذ أنشاءه حتى اليوم أثبت انه من أكثر الأحلاف استمرارية وقدرة على العمل وتعاون بين أعضاءه. لذلك تميز الحلف بميزان تقربه من فكرالمنظمات من أهمها:

١ – الاستمرارية: فقد أستمر عمل الحلف منذ إنشاؤه وحتى اليوم نظراً لاستمرارية أعماله.

٢ – الذاتية: ويمكننا القول بأن هذا الحلف لم يرقى بعد إلى درجة أن تصبح المعاهدة المنشأة له دستوراً ومن ثم يكون له صفة الذاتية والالزام والقدرة على فرض الجزاءات، كما أننا نستطيع القول أن المعاهدة المنشأة للحلف لم تعطي الحلف القدرة على مخاطبة اعضاءه وإلزامهم إلا ان التجارب والتعاون بين أعضاءه أتاحت لنا الفرصة للقول بأن الحلف يستطيع بالفعل الزام أعضاؤه باتباع مسلك معين وإن كانت فكرة الالزام ليست بنفس المستوى القانوني لها إلا أننا لا ننسى الطابع السياسي هنا.

وارتباطاً بفكرة الاستمرارية الذاتية أصبح للحلف أجهزة خاصة به وجهاز وظيفي يعمل لتحقيق أهدافه.

"الكتلة إذن هي حلف، غير أنه حلف من نوع جديد، إستدعت هذه النوعية المنافسة الايديولوجية بين القوتين القطبيتين، ولما كانت المنافسة بين القطبين هي بالضرورة دائمة فإن الأحلاف التي تقوم في خدمتها لابد وأن تكون عاملة على الدوام، فلا تعترف بالتميز التقليدي بين أوقات السلم وأوقات الحرب، وفي هذا تكمن عوامل (نوعية) ظاهرة الكتلة الجديدة"[١].

إن ثنائية القوى القطبية تعني بطبيعتها التنافس بين القوتين حتى في غيبة أي صورة للتصادم بين المصالح المادية أو الايديولوجية، إن هذا الانقسام هو انقسام بحكم الثنائية حتى مع غياب الايدلوجية، لذلك فقد أتجه كل قطب إلى تحقيق ذاته في مواجهة القطب الآخر، وهنا برزت ضرورة الالتجاء إلى سياسة التحالف، ولكن التحالف هذه المرة قد راح يرتبط بعوامل جديدة جعلت من ظاهرة الكتلة BLOC والتي تعمل في أوقات السلم أو في أوقات الحرب.

---

(١) د. محمد طه بدوي – مرجع سابق – ص ٢٨٦.

إن الخصائص التي تظهر بها الكتلة على الحلف التقليدي يؤكدها استمرارية عمل حلف شمال الأطلنطي حتى اليوم.

" لقد كان على الولايات المتحدة أن تطوق دائرة قلب الأرض الاستراتيجي في أوربا وأسيا بمجموعة من الأحلاف تقيمها على أطرافها، فكانت الدائرة الثابتة لإمبراطورية البحر الأمريكية والتي تشكلت على أساس مجموعة من أحلاف. أتسم حلفها الأكبر (حلف الأطلنطي) بسمات الكتلة، ثم كانت مجموعة الأحلاف الأخرى مجرد اتفاقيات دفاعية" [١].

وكتلة شمال الأطلنطي ليست ائتلافا Coalition فالائتلاف إذا يعني اتفاق مجموعة من الدول على تحقيق هدف أو أهداف محددة يعني علاقات غير رسمية بعيدة المدى ولذلك يتميز الحلف عن الائتلاف في الآتي:[٢]

١ - غياب العلاقة التعاقدية الرسمية.

٢ - غالبا ما يتم استعدادا للحرب أو بعد بدئها.

٣ - محدودية مجالات التعاون.

٤ - غالبا ما تنتهي بإنتهاء السبب المباشر لتشكلها.

وأهم ما نود الإشارة إليه هنا أن الأحلاف غالبا ما يأتي ذكرها ارتباطا بالانقسامات الدولية الحادة ووجود أحلاف مضادة، أما حلف شمال الأطلنطي فقد اتسم عمله بالدوام بعد انهيار عمل حلف وارسو بصفة غير رسمية واستمر عمله أيضا بعد انهيار الاتحاد السوفيتي. إلا أن أنهيار الاتحاد السوفيتي لا يعني أنه أصبح من الأصدقاء فما زال الاتحاد السوفيتي يمثل العمود الرئيسي المتمركز في منطقة قلب الاستراتيجي، إذن مازال هناك عدو، يستدعي فيه استمرارية التكتل لمواجهته آجلا أو عاجلا. لذلك تتنحى فكرة التحالف لتظهر فكرة التكتل السياسي.

إن فكرة التكتل هي انسب إلى البنيان الدولي أحادي القطبية[٣] Unipolar System وذلك عندما يحدث تركيز كبير للموارد لدى دولة واحدة أو مجموعة متجانسة من الدول بحيث تسود البناء الدولي بأسرة"[٤].

---

(١) مرجع سابق - ص ٢٨٨.

(٢) د. عماد جاد - مرجع سابق - ص ٢٢.

(٣) د. ممدوح محمود منصور - مفهوم النظام الدولي - دراسات استراتيجية - مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية - العدد ١٧ - ص ٧.

(٤) مرجع سابق، ص ٢٤.

ولقد ذهب بعض إلى أن الأحلاف التي تتشكل ضد طرف ما سرعان ما تتحلل بعد تحقيق الهدف، إلا إذا تم تطوير أيديولوجية للحلف تبرر بقاءه بعد تحقيق هدفه، أو إستمرار وجود القوة المحورية في الحلف أو ما يسمى Core Power"[١] وفي حلف شمال الأطلنطي يتحقق الشرطان.

ويرى آخرون أن مرور فترة أطول على بقاء الحلف تعني زيادة شرعيته، وإيجاد أسباب قوية للحفاظ عليه، ويتوقف الأمر في النهاية على الآليات التي يخلقها الحلف للتنسيق والتعاون"[٢] كما أن هناك خمسة عناصر تحدد استمراروإنتهاء الأحلاف الدولية وهي:[٣]

١ - القوة (قوة الدولة المهيمنة):

إن وجود قوة مهيمنة يعتبر أحد عوامل استمرارية الأحلاف الدولية، فبوجود قوة مهيمنة تستطيع أن تسيطر على متغيرات الحلف وتؤيد استمراره سواء بعمليات الترهيب من عدو أو بعمليات الترغيب عن طريق تقديم المزايا للحلفاء.

ويرى والت أن هذا المصدر يتطلب شرطين:

الأول : أن يكون لدى الحليف القائد القدرة على تحمل المزيد من التكاليف.

الثاني: أن يتعهد الحليف القائد بالحفاظ على قوة العلاقة ويكون مستعداً لبذل الجهد اللازم للحفاظ على الحلفاء من الانشقاق[٤].

٢ - المصداقية: يرى والت أن الأحلاف تستمر مع استمرار المصداقية بين الحلفاء وتتفكك إذا ما ساد الشك بينهم.

٣ - إدراك التهديد.

٤ - إدراك أهمية استمرار الحلف.

٥ - اثر المؤسسية ويقصد (مدى وجود منظمات مسئولة رسمية عن أداء مهام الحلف).

إن اتباع دول الحلف لمسلك مشترك في المجالات المختلفة يؤكد لاستمرارية الحلف وتحوله إلى شكل من أشكال التكتل، وهذه الاستمرارية توضحها هيكلية التنظيم داخل الحلف حيث يتسم "بوجود بنيان تنظيمي هرمي تعلو قمته قوة مهيمنة.

---

(١) مرجع سابق، ص ٤٥.

(٢) مرجع سابق، ص ٤٦ نقلا عن:
patric James, Structural Realism and the causes of war mass: Adism. Wesly, 1979, pp. 128-137.

(٣) د. عماد جاد، ص ٢٦.

(٤) د. عماد جاد، ص ٤٦ نقلا عن:
Kenneth N. Waltz, Theory of International Politics, Reading mass adism wesly 1979, pp. 97-99.

لقد تطورت مهام الحلف في المجال العسكري والاقتصادي إلى المجال السياسي، فعندما تكون حلف شمال الأطلنطي تحددت له مهمة محددة مفادها تحييد وردع العدوان السوفيتي لدول غرب أوربا التي عانت آنذاك من قصور عسكري جسيم هدد باختفاءها فيما وراء الستار الحديدي، وبناء عليه استند الحلف آنذاك على مكونين رئيسيين هما:

الطابع العسكري:

وهو الطابع الغالب على عمل الحلف منذ إنشاؤه وهذا الطابع ينشأ في ظل ظروف تنافسية قطبية واستمر هذا الطابع واشتد مع الحرب الباردة وإن تصدعت مصداقيته لدى الحلفاء أثر انحسار النفوذ الأمريكي عالمياً كرد فعل للحرب الفيتنامية.

الطابع السياسي:

لم يكن من المتصور أن يكون للحلف بعد هدف سياسي بالرغم من الدور الأيديولوجي الظاهر للحلف لكن هذا الطابع ظهر مع انتهاء الحرب الكورية وبداية سياسات التعايش السلمي.

ومن المعروف لدى أي محلل في العلاقات الدولية أن الإطار العسكري لا يمكن أن يتم بدون الطابع السياسي وأن استمرارية العمل العسكري لابد أن يصاحبه تطور في المجال السياسي بين أعضاؤه، وإلا أنقضى عمل الحلف كما أن أنقضاء عمل الحلف لا يتم بانهيار العمل العسكري ولكن ينقضي سياسياً أولاً هذا الأمر دفع الولايات المتحدة إلى ربط الدول الغربية بسياستها الجيوبولتيكية.

لقد خص الحلفاء الغربيون الوظائف الاستراتيجية للحلف الأهمية الأولى رافضين الاعتراف له بدور سياسي، كذلك فقد عكس قرار ديسمبر عام ١٩٧٩ الخاص بوزراء خارجية الحلف والمتعلق برفض الحلفاء نشر ٥٧ صاروخ أمريكي من طراز بيرشج وكروز التأكيد على الالتزام الأمني للولايات المتحدة فقط ومع استمرار استراتيجية الحلف ظهرت مجموعة من الحقائق أوجدت الدور السياسي للحلف منها:

١ - الأزمات التي واجهها الحلف والتي لا يمكن حلها إلا بدبلوماسية إدارة الأزمات حتى يمكنها احتوائها ومن هذه الأزمات العدوان الثلاثي على مصر ١٩٥٦ حرب أكتوبر ١٩٧٣، أزمة انسحاب فرنسا ١٩٦٦، الأزمة الناتجة من التدخل السوفيتي فيأفغانستان، كل هذه الأزمات لم يكن من السهل وضع حل لها أو على الأقل التعامل معها أو إدارتها بدون تعاون سياسي بين الحلفاء.

٢ - إن ظهور الحلف كان ظهوراً سياسياً قبل أن يكون ظهوراً استراتيجياً لأن الحلف من الممكن أن يكون مشروعاً عظيماً طرح على عجل دون دراسة من الناحية الاستراتيجية ولكن البعد السياسي والايديولوجي له أوجد له مكانة كبيرة بين الحلفاء.

٣ - مجموعة الأزمات الأوربية التي أوجدت تحديات سياسية واستراتيجية في القارة منها اصطدام حركة تضامن البولندية بالحزب الشيوعي الحاكم التي مست المصالح الأوربية بطريقة مباشرة.

٤ - الحقائق المتعلقة بعدم التعارض بين الدول الأمريكي العالمي والدور الأوربي في المجالات المتعلقة بتصدير السلاح والتواجد الأوربي في بعض الأماكن السياسية الساخنة في العالم كوجود فرنسا في لبنان في الأزمة الأخيرة ووجود بريطانيا في فوكلاند.

٥ - نظراً للصيغة الدفاعية للحلف كان يجب أن تسود كل أعضاؤه رؤية سياسية واستراتيجية واحدة تجاه العالم الغربي وجدير بالذكر أن حلف شمال الأطلسي قد واجه خلال الثمانينات تحديداً سياسياً على مستويين.

الخارجي : وقد أنصرف إلى الخطر الشيوعي.

الداخلي : وقد أنصرف إلى أعضاء الحلف.

أما التحدي الخارجي فقد خفت حدته بعد أن أستبعدت دول غرب أوربا كل احتمال لعدوان سوفيتي عليها وتقبلها للأمر الواقع مجسداً إنضواء دول شرق أوربا تحت اللواء السوفيتي.

أما التحدي الداخلي فقد تمثل في:

١ - رغبة الدول الأوربية في الارتباط قومياً والاتجاه إلى أوربا الموحدة وزيادة قدرتها التنافسية الاقتصادية.

٢ - اتخاذ سياسات لا تتوافق مع الاتجاهات الأمريكية خاصة تدعيم أوربا لمساعي الوفاق الدولي مع رفض أوربا لسياسة العصا الغليظة التي مارستها الولايات المتحدة خاصة مع بداية دخول ريجان البيت الأبيض.

ومع وضوح الخلافات داخل الحلف في فترة الثمانينات فقد انحسرت هذه الخلافات مع بداية انهيار الاتحاد السوفيتي وبدأت النظريات الجيوبولتيكية الأمريكية تؤيد أهمية تواجد الحلف عالمياً وليس أقليمياً خاصة مع الرغبة الأمريكية في القيام بالدور الأول في العالم في ظل القطبين الأحادية.

ثانياً : الناحية التطبيقية للجيوبولتيكس في السياسة الخارجية الأمريكية بعد انحلال U.S.S.R

على الرغم من أن البعض لا يربطون بين النظريات الجيوبولتيكية ومجريات السياسة الدولية والتحالف العسكري، إلا أننا نعتقد بأن الدول العملاقة Super Power تأخذ بأسس هذه النظريات فيما يتعلق بسياستها الدولية في السيطرة العالمية"[١] فالولايات المتحدة الأمريكية لم تتجاهل تلك النظريات خاصة في إطار علاقتها مع الاتحاد السوفيتي لتحد من إمكانية التوسع في منطقة القلب. لذلك فقد عمدت إلى الأخذ بمشروع مارشال لأنعاش أوربا، كما أنها في الخمسينات وتحت قيادة (دالاس) وزير خارجيتها آنذاك أتجهت إلى ربط مناطق عديدة في العالم خاصة التي تقع ضمن اطار نظرية الأطراف لسبايكمان والتي تتماشى مع مناطق الهلال الخارجي لنظرية ماكيندر، فربطت بين دول تلك المناطق بأحلاف دفاعية كان أهمها حلف شمال الأطلنطي.

ولا بد أن نشير في البداية أن هناك من يرى في الحلف من نشأته الطبيعة العدوانية ولا يعتبرون هذه الصفة قد زالت مع زوال الاتحاد السوفيتي السابق، ومن ثم انقضت مهام الحلف بما يتأتى معه الاتجاه إلى أشكال أخرى من التعاون إلا أن حقيقة الأمر ومن ثنايا دراسة الظروف التي رافقت إنتصار الحلفاء في الحرب العالمية الثانية تثبت أن انقسام العالم إلى كتلتين كبيرتين كان أمراً محتوماً وبصرف النظر عن ولادة أحلاف عسكرية فيما بعد، وعما إذا كانت الصفة الهجومية أو الدفاعية هي الغالبة على شكل التحالف ومضمونه، لقد اتجه العملاقان إلى تحقيق مصالحها على الصعيد الآستراتيجي والعقائدي، وقد أدت إجراءات هذا التقرير العقائدي والعسكري المزدوج ليس فقط إلى ضمان وجود قوى عسكرية رئيسية دائمة في مواجهة الخصم بل إلى الوصول إلى تحقيق مصلحة استراتيجية وسياسية هامة في أراضي الدول الأعضاء في الحلف"[٢].

ومع وجود قطبين متنافسين يحرصان كل الحرص على التوازن القائم داخل النسق الدولي كان للحلفاء دوراً رئيسياً في الحفاظ على صورة النسق القائم ولذلك ارتبط أمن الحلفاء بأمن الدول القطبية في العادة لذلك اتجه كل قطب إلى استراتيجية مكونة من عنصرين أساسيين هما (استراتيجية التسليح الذاتي، واستراتيجية تأمين الغطاء الأساسي للحلفاء).

لذلك فمن الضروري قبل أن نوضح الصورة المستقبلية لحلف شمال الأطلنطي في ظل التطورات السياسية والاستراتيجية الجديدة أن نتعرض لموقع الحلفاء الغربيين من الاستراتيجية الأمريكية.

---

(١) د. عبد المنعم عبد الوهاب، مرجع سابق، ص١٩٦.

(٢) د. عادل الزعيم، الأسباب السياسية والاستراتيجية لتصدع التحالف الأوربي - الأمريكي، السياسة الدولية العدد ٤١ - يوليو ١٩٨٥، ص ٩.

أولاً : أهمية الحلفاء بالنسبة للجيوبولتيكا الأمريكية:

إن هناك أسطورة تحاول الولايات المتحدة الأمريكية في ضوء سياستها الجيوستراتيجية العالمية إثباتها من خلال اصطدامها بالحقائق الجديدة. وتتمثل هذه الأسطورة في قدرة الدولة العظمى خاصة المنفردة بتقرير صورة النسق العالمي على التدخل السريع العسكري والحاسم في أي بقعة من العالم، أي مقدرتها على لعب دور الشرطي العالمي.

لقد دامت هذه الأسطورة في العصور الحديثة أربعة قرون وكان الأسبان والبرتغاليون في البداية، والهولنديون والبريطانيون والفرنسيون واليابانيون في البداية، يدفعون قواتهم المسلحة للتدخل بعيداً عن الوطن الأم، ويسيطرون على أمم كاملة، بل وعلى قارات بأسرها وكان ذلك يتم بقوات استعمارية Troupes Coloninales مشكلة ومسلحة ومعدة بشكل يتناسب مع طبيعة مهامها ومسرح عملياتها"(١).

ومن الملاحظ أن الدولة العظمى اعتمدت على نفس أسلوب إدارة الأزمات الدولية في سيطرتها على مناطق أخرى، وقد تأكدت هذه الفكرة وبنفس الأسلوب في حالة القطب الأوحد الولايات المتحدة الأمريكية التي تنفرد بقدراتها على التدخل السريع في أي منطقة في العالم وحلت قوة التدخل السريع (الانتشار السريع) محل القوات الاستعمارية السابق الاشارة إليها. وبنفس الطريقة تم تسليح هذه القوات بما يتناسب مع طبيعة مهامها ومسرح عملياتها أيضاً والاختلاف في كلا الحالتين إنما ينصب أساساً في مدى قدرة العسكريين على التصرف شبه المطلق، "فالحقيقة أن الحملات التي نفذتها البرتغال وأسبانيا وهولندا وبريطانيا وفرنسا في أفريقيا وأسيا والقارة الجديدة، وحملات الولايات المتحدة ضد كوبا والمكسيك وغيرها لم تتطلب جهداً عسكرياً كبيراً، ولم تتعرض للإستزاف الناجم عن طول مدة الصراع، ولم تكن حكومات الدول الغازية تستشير الرأي العام الداخلي أو تطلعه على مجريات الأحداث من خلال وسائل الاعلام بل كانت الحكومات تترك حرية التصرف شبه المطلق للعسكريين والحكام والمستعمرات، بالاضافة إلى ذلك، كان الرأي العام الداخلي في الدول الغازية فخوراً برؤية علم بلاده خفاقاً في نقاط متعددة وراء البحار وفي بلاد لا يعرف الكثير عنها. كما كان يعتبر العمليات الحربية في تلك البلاد مسألة عادية. ومنذ عشرين عاماً فقط شهدت المسالة بشقيها تبدلاً ملحوظا وجذرياً. ففي الدول الكبرى أصبحت الحكومات معنية بالرأي العام الداخلي بل ومضطره لاعلامه وأصبح هذا الرأي العام مسموع الكلمة ويشكل عنصر كبح امام المبادرات الحربية التي تنفذها الدولة"(٢).

---

(١) جورج بوبي، استراتيجيا، العدد ٣٧، ص ٥.

(٢) جورج بوبي، استراتيجيا - العدد ٣٧، ص ٥.

ومع زيادة أهمية الرأي العام الداخلي والعالمي في بعض الأحيان ظهرت اعتبارات أخرى متعلقة بمتغير طبيعة النسق العالمي. ففي الحملات الاستعمارية الأولى كان التنافس يتم إما من ثنايا فرض إرادة القوى أو بالاتفاق أو بسياسة التعويضات الإقليمية أحياناً بالإضافة إلى سياسات ميزان القوى المتعارف عليها، اما في ظل العمليات الحالية فقد ظلت سياسات ميزان القوى قائمة إلا أن طبيعة التعامل الدولي (International Relations Management) أختلفت إلى حد كبير في أمور عديدة من أهمها:

١ - طبيعة التعامل بين الدول الكبرى.

٢ - طبيعة التعامل بين الدول الكبرى والدول من الدرجة الثانية.

٣ - طبيعة دول العالم الثالث.

"وأمام هذه الحقائق الجديدة، وعت الدولتان العظيمتان ضرورة التلاؤم سياسياً وعسكرياً مع متطلبات إدارة الحرب المحدودة أو الصغيرة، والتمييز بين هذين النوعين من الحرب والعمل على تفهم مدخلات الحرب الصغيرة والإستعداد لمواجهتها، وتأتي أهمية التميز بين الحروب المحدودة والحروب الصغيرة من أن مفهوم الحرب المحدودة قابل للامتداد على مستوى الحرب النووية"[١].

"وتتضمن الحرب المحدودة أيضاً احتمال وقوع الصدام التقليدي مع الدول العظمى الأخرى وتتمحور المسألة بالنسبة إلى الأمريكيين حول مواجهة التوسع الروسي في العالم، ونظراً لتعدد جوانب هذه المسألة وتباينها، فقد كان من الضروري التميز بين الحرب المحدودة والحرب الصغيرة وعلى هذا الأساس يمكن القول بأن استخدام الأمريكيين للقوات التقليدية المتمثلة في قوة الانتشار السريع، بغية منع السوفيت من تمديد وجودهم العسكري إلى منطقة الخليج يمكن أن يؤدي إلى اندلاع حرب محدودة في حين يشكل الغزو الأمريكي لجزيرة جرينادا أصغر نماذج الحرب الصغيرة"[٢].

ووفقاً لتقدير الإدارة الأمريكية للحرب المحدودة[٣] وخطورتها تبنت الولايات المتحدة استراتيجية تأخذ في الاعتبار متطلبات العمل العسكري الذي يتفادى خطر التصعيد والذي يأخذ غالباً شكل إدارة الأزمة أو المظاهرة العسكرية وعرض العضلات، وهذا ما حصل في برلين وكوبا وكوريا والشرق الأوسط، حيث تلعب الرغبة في تحاشي الصدام مع الدول العظمى الأخرى دوراً

---

(١) مرجع سابق، ص ٥.

(٢) مرجع سابق، ص ٥.

(٣) تعريف الحرب المحدودة تعريف أفرزته الاستراتيجية الأمريكية وهو يعبر عن وجهة نظر رئيس الأركان الأمريكي الأسبق ماكسويل تايلور

حاسماً، ومن هنا يمكن فهم الأسباب التي جعلت الولايات المتحدة لا تزج بقواتها في الصراع في هذه الدول الصديقة للاتحاد السوفيتي السابق، إلا بعد التحقق من أن عملها لن يؤدي إلى صدام مباشر مع السوفيت، بل أن الأمريكيين يفضلون استخدام قواتهم وفق أسلوب إدارة الأزمة Crisis Management والخروج بدلاً من دفعهم إلى الأعمال القتالية المباشرة حتى لو كان نجاح تلك الأعمال مضموناً.

وبالرغم من القدرة العسكرية الأمريكية الهائلة فهي لم تدخل في حرب محدودة لاعتبارات متعلقة بالخوف النووي والردع النووي المتبادل، ومهما كانت المسئولية العسكرية التي تحملتها الولايات المتحدة الآن بصفتها جزء من العالم وباعتبارها تلعب دور الشرطي العالمي فإن المؤسسات الأمريكية العسكرية والمدنية تفضل عدم خوض الحروب الصغيرة أيضا بسبب مجموعة من كوابح السياسة الخارجية الأمريكية التي تتمثل في:

١ - المعارضة التي يحتمل أن يبديها الراي العام الأمريكي القوى ومن المعروف أن هذه المعارضة قد تخف أحيانا إذا ما قامت الولايات المتحدة بهذه الحروب مع حلفاء آخرين.

وفي الواقع فإن المتفحص في اتجاهات الرأي العام الأمريكي على أنه أحد كوابح الاتجاهات الامريكية للتدخل العسكري فيما وراء البحار يدرك أن عقدة فيتنام وإن تركت آثارا عميقة في نفوس الأمريكيين إلا أن الرأي العام الأمريكي قد تجاوز هذه المرحلة فقد أبدى الرأي العام الأمريكي استعدادا لقبول غزو جرينادا في أكتوبر ١٩٨٣، كما وافق الرأي العام الأمريكي على إرسال مشاة البحرية إلى لبنان للمشاركة في عملية إنقاذ الرهائن.

"ويبدوا أن موقف الرأي العام الأمريكي إزاء التدخل فيما وراء البحار يتطور بشكل مستمر، ففي الاستقصاء الذي أجري في عام ١٩٧٥، كان الرأي العام الأمريكي معارضا لخوض الحرب إلا من أجل الدفاع عن كندا، وكان ٤١% من الذين شملهم الاستقصاء يعارضون التدخل للدفاع عن أوربا الغربية، في حين كان مؤيدوا التدخل لهذا الغرض يمثلون ٣٩%، وفي عام ١٩٨٠ أجري استقصاء جديدا في ظروف مماثلة للأستقصاء السابق فتبين أن الأمريكيين يؤيدون خوض الحرب في أوربا الغربية والخليج واليابان وباكستان، ويشبه هذا المناخ الأمريكي المناخ الذي ساد بريطانيا أثناء حرب فوكلاند"[١].

٢ - هناك كابح أخر أقوى من الرأي العام وهو الكونجرس الذي يعيق الإدارة الأمريكية في كل ماله علاقة بالأعمال القتالية وراء البحار، ففي عام ١٩٧٣، وعندما تأكد الأمريكيون أن حرب فيتنام مغامرة مخيبة للأمال أقر الكونجرس قانون The ware powers Actor الذي ينص في

---

(١) مرجع سابق - ص ٥.

الفقرة (٥-ب) على ضرورة سحب كافة القوات الأمريكية المشتركة في القتال خلال ٦٠-٩٠ يوماً، من ناحية أخرى وبالرغم من موافقة الكونجرس على إرسال مشاة البحرية الأمريكية إلى لبنان وبقاءها ١٨ شهراً إلا أنه قرر سحبها قبل مضي ١٢ شهراً، إن قدرة الكونجرس هائلة فهو قادر على الصمود أمام الهيئة العسكرية بعدم موافقته على الميزانية أو تمويل المغامرات العسكرية. وهو ما حدث أيضاً في عام ١٩٨٥ عندما أحتلت الأحداث في نيكاراجوا وعلاقة الساندينيين بالاتحاد السوفيتي وكوبا قمة أهداف ريجان (ظهر ذلك واضحاً في خطابه الذي ألقاه رونالد ريجان في ١٩٨٥/١/٢٤ لاسقاط نظام الحكم هناك إلا أن الكونجرس اعترض خاصة بعد أن أعلن السيناتور الجمهوري ريتشارد لوغار رئيس لجنة العلاقات الدولية في مجلس الشيوخ الأمريكي بأن برنامج مساعدة تلك المنظمات غير قابل للحياة.

٣ - من أهم القيود على العسكرية الأمريكية هي حالة فقدان الثقة بين المدنيين والعسكريين، إذ لا يثق المدنيون برؤية العسكريين الاستراتيجية، في حين لا يثق العسكريون بالحس السياسي المدني، ولذلك فإن الخيارات المدنية للاستراتيجية الأمريكية عادة ما تكون محبطة للعسكريين، وهو ما يجعل العسكريون يلقون بعجزهم على الإدارة المدنية كما حدث في فيتنام ولبنان.

ومن المتعارف عليه أنه من المستحيل قيام الحرب الشاملة بين الدول العظمى بسبب القدرة التدميرية الهائلة التي أوجدت حالة الردع النووي وذلك طبقاً لنظرية كلاوزفيتز في أن الحروب هي أداة سياسية لحماية مصالح الدول وتوسيع دائرة نفوذها، إلا أن عدم رغبة الدول العظمى في الدخول في صراع نووي، دفع بها إلى شن حروب محدودة خارج حدودها، وبالتحديد في مناطق النفوذ المتنازع عليها، وتقوم بهذه الحروب في أغلب الأحيان الدول الحليفة أو المساعدين للدول الحليفة.

من ناحية أخرى هناك رغبة أمريكية في الالتفاف حول هذه القيود والخروج منها لممارسة دور عالمي، ويرجع ذلك إلى رغبة الولايات المتحدة في حماية مصالحها في جميع أرجاء العالم وبخاصة في المناطق البحرية الكثيرة لها ولحلفاؤها الأوربيين.

ومن أهم الطرق المؤدية إلى تحقيق الحلم الجيوستراتيجي الأمريكي هو التعاون واستمرارية التعاون مع الحلفاء الأوربيين القدامى، وبغض النظر عن التطورات العالمية التي انهارت مع انهيار الاتحاد السوفيتي - إلا أن رغبة الولايات المتحدة في استعادة الزعامة العالمية ورغبة منها في تخطي القيود السابق الاشارة إليها تمادت الولايات المتحدة في التعاون مع حلفائها الغربيون بل أبقت على حلف شمال الأطلنطي والذي سوف يمكنها بالتعاون مع حلفائها الأوربيون في القيام بحروب

صغيرة وبغض النظر عن نواقص قوة الانتشار السريع الأمريكية التي أثبتت فشلها في منطقة الخليج الساخنة.

إن الولايات المتحدة قد تكون قادرة على العمل في أي منطقة بالعالم إلا أن القيود الواردة على تلك السياسة تجعلها تتجه إلى حلفائها للسيطرة على الرأي العام الداخلي والكونجرس، ومن ناحية أخرى، فإن حلفاء الولايات المتحدة الغربيون عاجزون بدون دعم أمريكي عن القيام بعمليات كبيرة ناجحة وراء البحار وقد ثبت ذلك في حرب فوكلاند ١٩٨٣ فقد حصلت بريطانيا على دعم أمريكي وفرنسي وحصلت فرنسا على دعم أمريكي ايضاً أثناء تدخلها في زائير في عام ١٩٧٨، في المقابل نجد أن فرنسا وبريطانيا قادرتان على تقديم مساعدات لا يستهان بها إلى قوة الانتشار السريع الأمريكية وهو ما ظهر جلياً في حرب الخليج الثانية وتطوراتها المستمرة حتى اليوم.

لقد تبنت الولايات المتحدة منذ عهد الرئيس كارتر استراتيجية تأخذ في الاعتبار متطلبات العمل العسكري في منطقة الخليج وأمريكا الوسطى بالاضافة إلى كوبا التي زادت أهميتها كما أهتمت تلك الاستراتيجية بكل من ليبيا وتشاد والسودان بالاضافة إلى العراق وفي هذه المناطق تتوقع كما حدث مع العراق وقوع حروب صغيرة لا تتم بقوة الولايات المتحدة وحدها ولكن مع الحلفاء كما سبق أن أوضحنا.

أن الولايات المتحدة بحكم موقعها من النسق العالمي إذا تفضل عدم الخوض في الحروب الصغيرة البعيدة تعتمد على حلفائها لعدة اسباب.

١ – أن الولايات المتحدة كدولة عظمى إذ تلعب دور الشرطي العالمي لا تحافظ على مصالحها فقط إنما تحافظ أيضاً على مصالح حلفائها.

٢ – أن الولايات المتحدة نظمت أدائها العسكرية بشكل يسمح لها بإدارة الحرب مع الحلفاء على أعلى مستوى.

٣ – أن الحروب الصغيرة تبدو للولايات المتحدة وكأنها مغامرات في منطقة نائية من العالم من دون حلفاء يمتلكون فاعلية كدول اوربا الغربية ومن دون قواعد لوجوستية محلية وفي ظروف مناخية وجغرافية (صحاري، أدغال، مناطق قطبية).

٤ – هناك إمكانية اندلاع حروب صغيرة بشكل غير متوقع ومباغت للإدارة العسكرية الأمريكية الثقيلة، وفي حالة وجود الحليف المحلي في الحرب الصغيرة يخفف كثيراً من العبء الأمريكي.

٥ – من ناحية أخري فإن الولايات المتحدة الأمريكية بآلاتها الحربية الضخمة لا تعلق أهمية بالغة على الانتصار الحاسم على الخصم في وقت صغير، بالرغم من أن الانتصار أو عدم الهزيمة للعدو الصغير أمام الآلة العسكرية الأمريكية قد يعني مسألة حياة أو موت لذلك تحشد طاقاته ويطول أمد الحرب وهو ماحدث في فيتنام وأفغانستان.

لكل هذه الأسباب صممت الولايات المتحدة على الاحتفاظ بحليفها القوى المتمثل في أوربا الغربية بل ونظمت آلاتها العسكرية الحربية بالتنسيق معهم بشكل يسمح لها بإدارة الحرب على أعلى مستوى.

هناك أيضاً رؤية أخرى ترى أن دول أوربا الغربية مع الولايات المتحدة إنما يشكلون أكبر سوق تجاري للسلاح كما يمثل أيضاً أكبر مجمع اقتصادي وبالتعاون تستطيع الولايات المتحدة أن تنسق أمورها التجارية وعمليات التسويق التسليحي الدولي، والولايات المتحدة ترغب في أن يرتبط حلفائها بسياسة إنتاج حربية متوافقة مع الاتجاهات الأمريكية بالرغم من تأكد الاتجاهات الانعزالية الفرنسية والتي اكدها الجنرال الفرنسي وزير الدفاع شارل أرنو عند بداية الاقتراح الأوربي بانتاج الطائرة (AVE) الأوربية فقد ذكر أن الهدف الذي نبحث عنه من خلال التعاون الأوربي هو السيطرة على سياستنا في التسليح وبالتالي استقلالنا في سياسة الدفاع وهذا التعاون بالشكل الذي نريده للطائرة القتالية هو الوسيلة الوحيدة للاحتفاظ في أوربا بقدرة عملية وتقنية وصناعية على مستوى قدرات الدول العظمي[١].

أن دول أوربا الغربية ودول حلف شمال الأطلنطي هي بمثابة حلفاء محليين لهم مصالحهم وللولايات المتحدة مصالحها أيضاً ونفس القول ينطبق على الحلفاء الآخرين المحليين في أماكن أخرى في العالم ولنا في إسرائيل كحليف محلي في منطقة الشرق الأوسط ما يؤكد إلى أن ظاهرة التحالفات أو الحلفاء المحليين من الأمور الاستراتيجية في السياسة الخارجية الأمريكية وأرتباطاً بهذه الظاهرة تبرز مجموعة من الحقائق هي:

١ – أن الولايات المتحدة لديها رغبة قوية في تعزيز أمن حلفائها إزاء الأخطار المحلية والدولية ودعم مواقعهم في مواجهة التغيرات الاقتصادية وتأمين مجموعة المكاسب الاقتصادية بدءاً من الأرباح الكبيرة والتي تحققها من شركات الصناعات الحربية وانتهاء الى المساعدات الاقتصادية والعسكرية.

٢ – أن الولايات المتحدة تعتمد على حلفائها في المناطق الاقليمية فهؤلاء الحلفاء انما يقومون بدور حارس المصالح الاستراتيجية الأمريكية في مناطقهم الاقليمية.

---

(١) حديث صحفي نشرته جريدة الفيجارو الفرنسية في ١٩٨٤/٨/٢٨.

ونتيجة لذلك فإن الولايات المتحدة الأمريكية تتدخل لمساعدة حلفائها المحليين بطرق مختلفة منها:

١ - سرعة اقرار صفقات الأسلحة المباعة إلى هذه الدول.

٢ - البدء بتكثيف تصدير الأسلحة إليها.

٣ - المشاركة في تطوير وإنتاج الأسلحة.

٤ - التشدد في دراسة طلبات الأسلحة التي تقدمها الدول غير الحليفة الغربية من مسرح الصدام.

إن الولايات المتحدة إذ تسعى إلى تطبيق سياستها الجيوبولتيكية لا بد لها من حلفاء في مناطق جغرافية متعددة، لذلك فهي تحيط حلفائها في كل مكان بسياج من العطاء الاقتصادي والعسكري، وتعتبر دول أوربا الغربية اهم الحلفاء المحليين في منطقة أوربا من أجل تطويق منطقة قلب الأرض والوقوف ضد السوفيت وإغلاق طريق الامتداد إلى خارج منطقة قلب الأرض، وهي لذلك أيضاً تهتم بباكستان ودول الخليج وغيرهم.

ثانياً : العلاقة الارتباطية بين الأمن الأوربي والأمن الأمريكي:

من المعروف أنه بالرغم من التغيرات الجوهرية التي شهدها الحلف، إلا أن المبادئ الجوهرية تظل ثابتة، فالحلف قد ظهر في ظل التنافس القطبي ومتغيرات ما بعد الحرب العالمية الثانية، وفي إطار هذا التنافس ظهر مبدأ الدفاع المشروع، وقد أدى ذلك ليس فقط إلى ضمان مواجهة الخصم بل إلى الوصول إلى تحقيق مصلحة استراتيجية وسياسية هامة في أراضي الدول الأعضاء في الحلف وهي إمكانية إحباط أية محاولات داخلية للإنفلات او الانزلاق إلى الجبهة المنافسة ولذلك كان الاتجاه إلى تطوير العقيدة الأمنية للحلف تمشياً مع التغيرات العالمية الجديدة.

إن الولايات المتحدة إذ تعلم من الناحية الاستراتيجية معنى الخوف الأوربي من القوة النووية والتقليدية للسوفيت، تعلم جيداً نتائج ذلك على مصالحها في القارة القديمة وفي مناطق أخرى من العالم، لذلك فهي تفضل أن تظل القارة الأوربية بمظلة استراتيجية لحلف الأطلنطي.

ومن ناحية أخرى فهناك رغبة من الجانب الأوربي في الحماية الأمريكية فقد رأي الأوربيون أن نجاح الولايات المتحدة في امتلاك درع مضاد للصواريخ السوفيتية سيدعم من ثقة الدول الأوربية بجدية مظلة الردع الأمريكية المنشورة في أوربا، إن القوتين النوويتين الفرنسية والبريطانية سوف تصبح بلا معنى في مواجهة الردع النووي السوفيتي المضاد للصواريخ ولا

يستبعد أن يؤدي هذا الوضع إلى تطورات سياسية غير متوقعة في أوربا ومنطقة الشرق الأوسط وبخاصة منطقة الخليج وهو ما لا ترغبه الولايات المتحدة.

وبالرغم من الارتباط بين الرؤيا الأمريكية الأمنية والأوربية إلا أن الأوربيون يتخوفون من التنافس الروسي / الأمريكي خاصة في المجال النووي، فالأوربيون يستبعدون الحرب النووية الشاملة طالما أن هناك تعادل في موازين القوى، ويرون أنه في حالة وقوعها ستنحصر في أوربا فقط وذلك لاعتبارات عديدة أهمها:

١ - أن الأراضي الأوربية عبارة عن ترسانة نووية أمريكية.

٢ - أن الأراضي الأوربية هي المناطق الفاصلة بين العملاقين وهي تدين بأمنها إلى طبيعة العلاقة بينهما (أراضي حاجزة).

٣ - أن الدول الأوربية هي دول حليفة للولايات المتحدة.

ولا بد أن نوضح هنا أن الخوف الأوربي ليس من فكرة التدمير النووي ولكن أيضاً من الاجتياح السوفيتي بالأسلحة التقليدية فمازال السوفيت يمثلون منطقة قلب الأرض الاستراتيجية، ويتفوقون في الأسلحة التقليدية.

ويتضح من تقارير وكالة المخابرات الأمريكية مدى الخوف الأوربي خاصة بعد الإعلان أن هناك ما يزيد عن ٣٠٠ رأس نووي روسي على استعداد لتدمير عدد كبير من القواعد العسكرية التابعة لحلف شمال الأطلنطي في فرنسا وبريطانيا وألمانيا الغربية في آن واحد، ولا شك أن هذه الضربة الأولى ستقضي على كل أمل أوربي في الردع في الوقت الذي لا تستطيع فيه الدول الأوربية استخدام الصواريخ المضادة للصواريخ الروسية خاصة من طراز (بيرشينج) لأن مفاتيحها في خزانة الولايات المتحدة وهذا الأمر سيرغم أوربا على الاستسلام.

ومن أسباب الخوف الأوربي "أنه إذا كان صحيحاً أن الروس يفكرون في ضرب أوربا فهل سيتدخل البيت الأبيض، وهنا تجدر الإشارة إلى مسألة غاية في الأهمية يضعها الأوربيون نصب أعينهم، وهي اقتناعهم بأن الولايات المتحدة لن تتدخل لحمايتهم، وقد ذكر أكثر من مسؤول أمريكي "أنه على أوربا إذا كانت تستشعر بالخطر أن تبادر إلى حماية نفسها، ولم تنسى الحكومات الأوربية بعدما حدث في الستينات حينما رفضت الولايات المتحدة أن تدافع عن أوربا ولذلك يعتقد الأوربيون أن أوروبا ستكون الضحية وأن موسكو وواشنطن يبذلون كافة الجهود للسيطرة عليهم"[١].

---

(١) استراتيجيا، العدد ٤٤، اكتوبر ١٩٨٥، ص ٨٢.

من ناحية أخرى يرى الأوربيون أن الولايات المتحدة ترى الخطر بعيداً عنها لأنها أولاً وأخيراً قادرة على حماية نفسها، كما أنها باعتبارها دولة بحرية قادرة على حماية نفسها كما أنها قادرة على منافسة الروس في المحيط بكفاءة قتالية عالية.(١)

ويرى بعض المحللين أن الأمر في حقيقته لا يتعدى رغبة الولايات المتحدة في أن يقوم الروس بضرب أوربا، لأن هذه الضربة ستجرد الروس من أسلحتهم مما يمكن الولايات المتحدة في هذه الحالة من استلام زمام المبادرة"(٢) كما أن الولايات المتحدة ليست على استعداد لخوض حرب إلا إذا كانت مضمونة النتائج ولا تؤثر على قدراتهم العسكرية.

"إن الاعتراف بالمأزق الأوربي دفع بريجنيف إلى القول "نحن على استعداد لتحييد أوربا الشمالية من مساحة الصراع النووي كمقدمة لمشروع يهدف إلى تحييد أوربا بكاملها"(٣).

ومن المعروف أن الولايات المتحدة وأوربا قد رفضتا هذا الاقتراح وأعتبروا أن إقراره يشكل كسباً للسوفيت الذين يكونوا قد نجحوا في تحويل أوربا الشمالية إلى فنلندا ثانية، إضافة إلى اضعاف حلف شمال الأطلنطي، بل وإيجاد شرخ عميق في التحالف الغربي.

إن الخوف الأوربي إنما يرتد إلى مقدمة مؤداها أن أوربا تعد بمثابة المنطقة الجغرافية الحاجزة بين السوفيت والأمريكان ولذلك فهناك نتائج مترتبة على ذلك أهمها:

١ – أن أوربا تدين باستقلالها إلى الوفاق بين القوتين.

٢ – أن أوربا تعد بمثابة بوتقة للتفاعل الروسي الأمريكي فالاتحاد السوفيتي سوف يعمل على إدارة الصراع الاستراتيجي مع الأمريكان في أوربا، الأمر الذي سيضمن لهما في النهاية اقتطاع مساحات من أوربا مرة ثانية وإخضاعها لسيطرته.

٣ – أن أوربا هي مسرح التنافس السياسي والاستراتيجي بين الدولتين العظميين.

وارتباطا بذلك ظهر المأزق الأوربي واضحاً فمن ناحية فإن المسئولين الأوربيون يعتبرون مصالحهم ترتبط بمصالح الولايات المتحدة ولا زالوا يراهنون على القدرة العسكرية الأمريكية القادرة على حمايتهم، من ناحية أخرى فإن الولايات المتحدة تتبع سياسات مع الدول الأوربية يفهم منها أن الولايات المتحدة ترغب في خضوع أوربا المطلق لها.

---

(١) مرجع سابق، ص ٨٢.

(٢) مرجع سابق، ص ٨٢.

(٣) مرجع سابق، ص ٨٢.

ومن الناحية السوفيتية فإن الولايات المتحدة تعترف بفشلها في حماية أوربا دون تعريضها لكارثة مروعة، وإذا كانت هي نفسها لن تستطيع حماية مصالحها بصورة كاملة، لذلك فإن أوربا في هذه الحالة أمام أمرين لا مفر منهما:

الأول : خضوعها للسوفيت فهي غير قادرة على حماية نفسها في مواجهة السوفيت.

الثاني: خضوعها المطلق للولايات المتحدة.

لذلك فمن المتصور أن أمام قادة أوربا حلين رئيسيين هما:

١ – زيادة القدرات الدفاعية الأوربية وتنظيم أوربا سياسياً لتشكل في النهاية تكتل يستطيع أن يقف في مواجهة السوفيت ويبتعد عن الهيمنة الأمريكية.

٢ – التعاون مع الولايات المتحدة بدون الخضوع لها عن طريق التعامل الدولي من ثنايا حلف شمال الأطلنطي. فعلى الأقل فإن الحلف يدار بطريقة ديمقراطية.

ومن الواضح أن أوربا تتجه إلى الحل الأول لتصل إلى الحل الثاني لذلك تتجه الولايات المتحدة إلى اتخاذ سياسات من شأنها:

١ – تحديث القدرة النووية الأوربية لزيادة القدرة الدفاعية ضد السوفيت وتخفيف العبء الاستراتيجي لحماية أوربا على الولايات المتحدة.

٢ – اتخاذ سياسات من شأنها أن يكون هذا التطوير على درجات تتفق مع مصلحة الأمريكان في الابقاء على أوربا خاضعة للهيمنة الأمريكية.

لذلك فالولايات المتحدة تعارض مبدأ استقلالية الحلفاء الغربيون في المجال النووي لدواعي أهمها[1]:

١ – أن إنتشار السلاح النووي بين دول الناتو يعني احتمالات المواجهة مع السوفيت والذي سوف تضطر معه الولايات المتحدة إلى الدخول فيها تطبيقاً لنظام الدفاع الجماعي رغم خطورة عواقبها على السلم والأمن الدوليين.

٢ – تعدد الدول المالكة للسلاح النووي من شأنه النيل من تماسك وصلابة كتلة الحلفاء، كما يؤدي إلى تعدد مراكز اتخاذ القرار الى السلام النووي بعد أن كان بقبضة الرئاسة الأمريكية وحدها.

---

(١) د. دريه شفيق بسيوني – الاستراتيجية النووية الأمريكية بين التوازن النووي وحرب الكواكب – المجلة العلمية لكلية التجارة – جامعة أسيوط – العدد ١١ السنة السابعة ١٩٨٧، ص ١٢.

٣ - عدم جدوى برامج تنمية القوى النووية القومية المرهقة مادياً بالنظر إلى الأخطار التي تتعرض لها أوربا وأبرزها خطر الفناء النووي التام وعدم مقدرة أوربا على ردع التهديدات النووية السوفيتية بمثل هذه القوة المحدودة، إذ أن هذا الردع لا يتحقق بالقوة النووية الأمريكية وحدها.

٤ - ضرورة وجود استراتيجية نووية موحدة تحت الزعامة الأمريكية تجعل لها القدرة على إدارة ازماتها مع السوفيت.

٥ - اهتمام الحلفاء الغربيين بحيازة السلاح النووي تصرفهم عن تطوير قدرتهم العسكرية التقليدية وهي من أهم المرتكزات التي تنهض عليها الاستراتيجية الأمريكية في أوربا.

إن الولايات المتحدة طالما اعتبرت أن المعسكر الغربي يجب أن يكون وحدة استراتيجية واحدة، وأنه يعود إليها هي أن تنظم مجمل نظم الدفاع الغربي وأن تحدد هي وسائل هذا الدفاع وتقرر استخدامها"(١).

إن الولايات المتحدة بصياغتها الاستراتيجية الردع النووي فرضت على الدول الأوربية أساليب وسياسات مختلفة، فمن ناحية لم تؤيد الولايات المتحدة امتلاك الدول الأوربية للسلاح النووي لأن من شأن ذلك أن يؤثر في تماسك الكتلة الغربية، لذلك فامتلاك أي دولة أوربية للسلاح النووي يعني استقلالاً ذاتياً الأمر الذي يدخل إلى الأوضاع الأوربية فرعاً من عدم الاستقرار ولهذا عارضت الولايات المتحدة طويلاً فكرة الردع الفرنسي.

ومن ناحية أخرى فهي تفرض على الدول الأوربية الخضوع لاستراتيجية الردع الأمريكية بالرغم من رفض الرأي العام الأوربي لذلك وهو ما وضح كلياً في أكتوبر ١٩٧٩ عندما رضخت بريطانيا وقررت قبول إنتشار الصواريخ المجنحة في أراضيها.

وقد تطلعت الدول الأوربية منذ عام ١٩٧١ إلى الاتجاه اتجاهاً ذاتياً يعطي للتعاون الأوربي المستقل مكاناً بارزاً في إطار الانجازات الفضائية، فشكلت لجنة الفضاء الأوربية (E.S.A) European Space Agencey. في عام ١٩٧٣، ويمكن اعتبار هذا التعاون الأوربي عملاً عسكرياً قبل كل كل شئ إذ يرى البعض فيه الكثير من التحدي الأوربي لمركز الولايات المتحدة الأمريكية، والإصرار على إبراز أوربا المستقلة.

إلا أنه من الواضح عدم رغبة الحلفاء الغربيين في الابتعاد عن الحظيرة الأمريكية - فقد عملت بعض الدول الأوربية على رأسها ألمانيا عملت على وضع مجموعة الصناعات الألمانية للطيران والفضاء (BDLI) لأسباب اقتصادية وتكنولوجية وعسكرية في ظل حلف شمال الأطلنطي

---

(١) بول ديلالورنس، استاذ الاستراتيجية القوى العظمي في السوربون - استراتيجيا - العدد ٢٨ ابريل ١٩٨٥، ص ٨.

وتعاونت مع الولايات المتحدة الأمريكية، وعلى مستوى القارة فقد عقد مجلس وكالة الفضاء الأوربية في مدينة روما في يومي ٣٠، ٢١ يناير ١٩٨٥، واتخذ قرارات كان أهمها: اشتراك الدول الأوربية في برنامج محطة الفضاء الأمريكية Space station شريطة الوصول إلى اتفاق مرضي مع الولايات المتحدة حول هذا الموضوع.

لقد وضح من ثنايا تحديد أهداف البرنامج الأوربي الفضائي رغبة أوربا الاستقلال إلا أنها عززت من شكل التعاون مع الحليف الأساسي للولايات المتحدة الأمريكية فقد ظهر أنه من أهم أهداف البرنامج الأوربي هو تعزيز التعاون الدولي بصورة خاصة عن شكل من أشكال التعاون مع الولايات المتحدة في برنامج إنشاء محطة فضائية دولية[1].

ولا نفضل أن يفهم من تحليلنا السابق سلبية الدول الأوربية ورغبتها في الأنصياع إلى الجانب الأمريكي. فمن الواضح أن الدول الأوربية كانت بين أختيارين:

الاختيار الأول: هو الاعتماد على النفس في الدفاع عن الأراضي الأوربية بالرغم من تخلفهم في مجال التسليح النووي بأكثر من ١٥ عاماً.

الاختيار الثاني: هو التعاون مع الولايات المتحدة والذي تضمن عنصرين رئيسين هما:

العنصر الأول: التكنولوجيا.

العنصر الثاني: الحماية النووية للقارة الأوربية بالإضافة إلى إقامة ميزان للقوة يتيح للدول الأوربية أن تقوم وتتسلح في ظل تلك الحماية.

ومن المعروف أن أوربا قد دخلت عصر الفضاء متأخرة خمسة عشر عاما عن الدولتين العظمتين ولذلك بدأت محاولات منفردة في قمة جماعية في إطار التقدم التكنولوجي في مجال الصواريخ والطيران، ومن أهم المحاولات المنفردة المحاولات الفرنسية والتي استحدثت مؤسسة وطنية تقوم باستكشاف الفضاء واستغلاله وظهرت المانيا الغربية حيث أنشأت مجموعة الصناعات الالمانية للطيران والفضاء وفي انجلترا بدأت في إنشاء شركات وطنية.

يمكن القول أن هذه الدول الأوربية قد حققت انجازات ملموسة في هذا المجال بصورة مستقرة بالتعاون مع غيرها خاصة اليابان وكندا أو منفردة بالإضافة الى المشاركة في المشاريع الفضائية الأمريكية أو الروسية.

---

(١) في تفاصيل ذلك البرنامج: استراتيجيا. العدد ٨٥/٤٠ - ص ٨٢.

ومن ناحية الولايات المتحدة فقد اعتبرت هذا البرنامج الأوربي بمثابة برامج ثانوية اختبارية تابعة لاتفاق الأعضاء الأوربيين فيما بينهم خاصة (وكالة الفضاء الأمريكية) على التنفيذ بالإضافة إلى أن هذه البرامج تواجه صعوبات من أهمها:

١ - الأزمة الاقتصادية التي تعانيها الدول الأوربية منذ عدة سنوات.

٢ - اظهار الولايات المتحدة حرصاً متزايداً على تحديد نقل التكنولوجيا إلى أوربا بهدف البقاء على مركز متفوق وهو ما دفع الأوربيين إلى الاتجاه إلى اليابان وكندا.

إن الخيارات السابقة لم تتح للقادة الأوربيين أي فرصة للتراجع بالرغم من أخذ رأي الرأي العام الأوربي والذي ظهرت فيه اضطرابات أشبه بالثورات وظهرت الحركات السلمية المعادية لحلف شمال الأطلنطي في أوربا الغربية ومنها الحركة الأوربية المعروفة باسم لجنة نزع السلاح النووي في أوروبا، وتطورات بعض هذه الحركات تدريجياً إلى منظمات سرية تعمل على تخريب المؤسسات العسكرية للحلف، وظهرت أحزاب تنادي بالسلام الأوربي ومنها حزب الخضر في ألمانيا.

إن التعاون الأوربي مع الولايات المتحدة على الأقل في الفترة القادمة هو تعاون لا مفر منه وإن كان هناك نوع من النفور الأوربي إلا أن هذا النفور يواجه برغبة أمريكية في زيادة الأرتباط بل وتدعيم الاستراتيجية الأوربية إلى الحد أن الولايات المتحدة تطالب الدول الأوربية بتحمل نصيبها من الدفاع عن أوروبا وفي إطار ذلك تطالب دول الحلف دائماً زيادة ميزانية الدفاع بنسب محددة وبنسب يحددها الحلف. فقد أرتفعت ميزانية الدفاع البريطانية بنسبة ثابتة على سبيل المثال منذ ١٩٨٦ بناء على طلب الحلف (بنسبة ٣% تقريباً[١]).

ومما يجدر الإشارة إليه في هذا الصدد أن هناك رغبة أمريكية قوية في السيطرة الكاملة على برنامج التسليح النووي في الدول الأوربية إلا أنها إن لم تتمكن من ذلك سوف يظهر البرنامج النووي الأوربي وهذا ما تراه الولايات المتحدة في غير صالح أوروبا وفي غير صالحها من جهة أخرى، وبالرغم من أن بعض الدول الأوربية خاصة فرنسا لها اتجاهات استقلالية في هذا الشأن ولها برنامجها النووي الخاص بها وهو ما تعرفه واشنطن لذلك فهي تحرص من وقت لآخر للضغط على فرنسا، مثلما حدث عندما عمقت واشنطن وبون علاقتها الاستراتيجية حول حرب النجوم، الأمر الذي خشي معه المراقبون في أن يؤدي تقارب بون وواشنطن إلى حدوث شرخ في العلاقات الفرنسية الألمانية وأنتهاء حقبة التفاهم التي وصلت ذروتها إزاء مسألة نشر الصواريخ الأمريكية في أوربا.

---

(١) موسوعة سلام - ص ٣٠.

وهذا الأمر دفع الرئيس ريجان في عام ١٩٨٣ إلى الاعلان عن مبادرة استراتيجية تحت عنوان (مبادرة الدفاع الاستراتيجي) كخطوة نحو الأمن الأوربي والتي هدف منها:

١ - تحقيق تفوق عسكري على السوفيت.

٢ - المزيد من الابتزاز السياسي لدول حلف شمال الأطلنطي[١]

ثالثاً : أثر انحلال الاتحاد السوفيتي على العقيدة الجيوستراتيجية للحلف:

نشأت الاستراتيجية العسكرية الشرقية مع ثورة أكتوبر ١٩١٧ ولكن الجذور التاريخية لها أنها تعود إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فقد علل منظرو الاشتراكية العالمية بعد اكتشافهم لقوانين تطور المجتمع الإنساني شكل علمي أسباب نشوب الحروب وجوهرها الاجتماعي وآثاروا من جديد مسألة دور الجماهير والقادة في الحرب وفي شرعية تطور الفن العسكري.

وقد تطورت الاستراتيجية السوفيتية بسرعة بعد ثورة أكتوبر على يد (فلاديمير ايليتش لينين) الذي كشف عن جوهر وطبيعة الحرب وأنواعها وبعد الحرب العالمية الثانية قام السوفيت بتطوير ترسانتهم الحربية بسرعة فائقة مما سمح لهم بتفوق حاسم على الاستراتيجية الغربية، خاصة أن الأحداث أثبتت القدرة السوفيتية الفائقة على حسم النزاعات لصالحها، فقد تمكنت قوات حلف وارسو من اخماد الثورة المضادة في تشيكوسلوفاكيا في ربيع ١٩٦٨، كما أن العملية الاستراتيجية للسوفيت في أفغانستان في عام ١٩٨٠ أثبتت حرية الحركة السوفيتية.

وحتى بداية السبعينات كانت العلاقة الكمية بين القوات المسلحة الاستراتيجية في الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي تقريباً متساوية ولكن مع وضع المبادئ الجديدة في الأساليب التكنولوجية العسكرية، بدأ سباق محموم من أجل تطوير الصواريخ الاستراتيجية، وبدأ السابق الأمريكي الغربي مع السوفيت، الأمر الذي دفع كلاهما في الدخول في مباحثات الحد من أنتشار الأسلحة النووية فظهرت مجموعة معاهدات كان أهم ما يميزها إحساس الطرفين بعدم الثقة في الطرف الآخر، خاصة بعد ظهور برنامج التسليح في مجال حرب النجوم، وقد ظهرت الرغبة السوفيتية في عدم السماح للغرب بالتفوق الاستراتيجي عليه بالرغم من أن برنامج حرب النجوم أوضح أسبقية الولايات المتحدة في هذا المجال.

من ناحية أخرى فإن برنامج حرب النجوم الاستراتيجي له تأثير خطير على سباق التسلح النووي. ففي تصريح لوزير الخارجية السوفيتي جروميكو في مباحثاته مع نظيره الأمريكي جورج شولتز في صيف خلال ١٩٨٥ للحد من سباق التسلح النووي أن بلاده ستضطر إلى زيادة قواتها

---

(١) أستراتيجيا، العدد ٣٨، ص ٣٠.

النووية الاستراتيجية إذا نفذت الولايات المتحدة برنامج حرب النجوم، وقد أكد جروميكو أن الحديث عن امكانية خفض الأسلحة الاستراتيجية لن يكون مجديا ما لم يتحقق تقدم بالنسبة إلى المسائل المرتبطة بحظر انتشار الأسلحة في الفضاء الخارجي، وأضاف أن التنفيذ العملي لبرنامج حرب النجوم سيدفع الاتحاد السوفيتي ليس إلى خفض قواته الاستراتيجية النووية بل إلى زيادتها، وقد ظهر ذلك واضحاً في المباحثات الأمريكية/ السوفيتية في جنيف حول نزع السلاح والتي بدأت متجمدة، فالسوفيت يطالبون بإعداد اتفاقية نووية حول الأسلحة النووية والفضائية، في حين أن الأمريكيين مصرين على مراجعة بنود إتفاقية (سولت ١) حول الأسلحة المضادة للصواريخ، الأمر الذي دفع الجنرال نيكولاي شيفروف من هيئة الأركان السوفيتية إلى القول بأن بلاده لن ترد على مبادرة الدفاع الاستراتيجي الأمريكي بمبادرة مماثلة، بل ستعمل على وضع عدد كبير جداً من الصورايخ النووية الهجومية بحيث تضمن اشباع الدفاع الفضائية الأمريكية وعرقلة مبادرة ريجان من مصداقيتها.

من ناحية أخرى كانت الولايات المتحدة الأمريكية تعمل من ناحيتها عل دفع حلفائها الأطلسيين إلى زيادة قدراتهم النووية، فقد أعلن الجنرال الأمريكي (ابراسون) المسئول عن مبادرة الدفاع الاستراتيجي (SDI) أن التطوير الأوربي في مضمار التكنولوجيا المتقدمة ضمن إطار برنامج EUREKA لا تتعارض مع المبادرة الأمريكية.

إن أهم المسائل المطروحة الآن على بساط البحث هي:

١ - هل اختلفت الاستراتيجية السوفيتية بعد انحلال الاتحاد السوفيتي.

٢ - موقف U.S.A وحلفاءها الغربيون من السوفيت الآن.

وبداية لابد أن نشير إلى أن الاتحاد السوفيتي ومهما كان الجدل حول قدرة الهجوم التقليدي السوفيتي بعد انحلاله على دحر القوات الاطلسية دون استخدام السلاح النووي قادراً بالفعل على خلق نوع من التوتر لدى القوات الأطلسية، إن الاستراتيجية العسكرية السوفيتية الآن تشهد تحولاً كبيراً لا يمكن تجاهل امكاناته على مجمل الوضع العسكري في العالم كله.

لقد شككت وكالة المخابرات الأمريكية في أقوال صدرت من أعضاء في الكونجرس مفادها أن موسكو على وشك تحقيق تقدم نووي هائل (قبل انهياره) وعلى الرغم من تداعيات الاتحاد السوفيتي بعد ١٩٩١ إلا أنه من الواضح أن الولايات المتحدة لا تشكك حتى الآن في القدرة العسكرية الهجومية السوفيتية فمن الواضح أن السوفيت يسعون إلى امتلاك القدرة على حرمان الأطلسيين من استخدام الفضاء بحرية لذلك فالقدرات الروسية الحالية المضادة للأقمار الصناعية متطورة.

ومن الواضح أن المؤشرات الجديدة إنما تشير إلى أن الروس اليوم يقفون مع الولايات المتحدة على نفس المستوى من التطوير والتنويع والتخطيط للمستقبل وأنهم لم يتنازلوا عن مخططاتهم في ظل الاتحاد السوفيتي السابق.

إن المعلومات التي أكدتها مصادر وزارة الدفاع الأمريكية تؤكد أن الروس ماضون في تطوير الأسلحة الهجومية والدفاعية وقد أشار التقرير إلى الآتي:

١ - ظهور الجيل الخامس من الصواريخ العابرة للقارات SS-X-25-X-24 التي تخترق الغلاف الأرضي الجوي، ثم تعود برؤوسها النووية المتعددة ذات الأهداف المتعددة (Mirv) إلى أهدافها في القارة الأمريكية.

٢ - تحديث الأسلحة المضادة للصواريخ وبخاصة الصواريخ الموجودة حول مدينة موسكو، والتي ستكون قادرة على تدمير الصواريخ المعادية الأمريكية العابرة للقارات.

٣ - تطوير برنامج الأبحاث السوفيتية حول أنظمة استخدام أشعة الليزر ذات الطاقات العالية لتدمير الأقمار الصناعية الأمريكية. سواء من محطات أرضية، أم من محطات فضائية.

٤ - تطوير قواعد دفع جبارة لصواريخ وسفن فضائية مأهولة أكبر من سابقتها وقادرة على البقاء في الفضاء مدة أطول. وغير ذلك[1].

ومن الواضح أن المسئولون السوفيت اتخذوا من شعار اللحاق بالخصم ثم التفوق عليه دليلاً ومنهاجاً في تعاملهم مع الغرب أو مع الولايات المتحدة أو الأثنين معاً من ثنايا خلف شمال الأطلنطي.

ومن الناحية الجيوستراتيجية لا بد أن نعلم أنه ثمة أسباب وجيهة لاعتبار قيام حرب نووية في أوربا أحتمالاً ضعيفاً من الناحية الموضوعية فمحاذير المعسكرين المتنافسين ومصالحهما كبيرة ومحددة بوضوح وقائمة من أكثر من جيل إلا أن السيناريو الذي طغى على خطط حلف شمال الأطلنطي هو افتراض هجوم مدرع سوفيتي ساحق عبر السهل الأوربي الشمالي.

إن هناك أسباب موضوعية تقتضي حفظ الردع الأوربي قائماً في أوربا في مواجهة السوفيت في ميدانين رئيسين:

أولاً : في الميدان النووي.

ثانياً: في الميدان التقليدي (العسكرية التقليدية).

---

(١) في تفاصيل ذلك: استراتيجيا - العدد ٤٣. سبتمبر ١٩٨٥، ص ٨١.

وفيما يتعلق بالميدان النووي فهناك كما سبق أن أوضحنا محاذير هائلة في الاستخدام ويبقى فقط فكرة التوازنات قائمة، حتى لو كان هناك نوع من الخلل في ميزان القوة النووية في أحد الاتجاهات فلا يعني ذلك أن هناك احتمال استخدام هذه الميزة من الطرف الآخر، ولكن يبقى اذن القدرة العسكرية التقليدية القادرة على حسم الصراعات. فما زالت القوة التقليدية هي الأساس في العلاقات الدولية وهي الأفضل من نواحي عدة أهمها:

١ – ليس هناك حدود على استخدامها (إذا استثنينا البتروكيماويات والبيولوجية).

٢ – ليس هناك حدود على تطويرها.

٣ – هي الأفضل في مجال فرض السيطرة العسكرية.

٤ – هي الأرخص في مجال التطوير والبحث.

٥ – تكنولوجيا التطوير في الأسلحة التقليدية يمكن بيعها بسهولة بدون محاذير دولية كما يمكن بيع الأسلحة منها.

٦ – يمثل إنتاج الأسلحة التقليدية مورداً هائلاً من موارد الناتج القومي عكس الإنتاج النووي الذي يمثل عبئاً اقتصادياً، وعبئاً سياسياً في مواجهة الرأي العام العالمي والمحلي.

كل هذه الأسباب تؤيد فكرة مرونة استخدام الأسلحة التقليدية إذا ما قورنت بالأسلحة النووية، لذلك فقد اتجهت الدول إلى اتباع استراتيجيات من شأنها:

١ – زيادة القدرة التنافسية في المجال النووي (الاستخدام والتطوير هنا يتم من أجل الإبقاء على وضع قائم State que أو زيادة القدرة التفاوضية الأخرى).

٢ – زيادة القدرة التقليدية في مجال التسليح التقليدي مع حرية الاستخدام والتطوير.

وهذه الاستراتيجيات تسعى غالباً للسيطرة العالمية ولذلك كان على الروس إذا أرادوا اللحاق بالغرب الرأسمالي أن يوفر ركائز استراتيجية تعتمد على مقومات أساسية بدءاً من:

١ – زيادة القدرة التنافسية النووية مع الغرب والولايات المتحدة أو حلف شمال الأطلنطي.

٢ – الاعتماد على القدرة التقليدية الروسية وهي ذات كفاءة مشهودة.

لقد أدرك الساسة السوفيت أهمية هذا الموقف بل وشاركته في ذلك اليابان وبعض الدول الأسيوية التي أتجهت إلى التحديث التكنولوجي للقوات التقليدية.

"ومن الحقائق المعروفة أنه في نهاية الستينات ومستهل السبعينات تمتع السوفيت بمركز دولي مطرد القوة، أوحى إلى اقطابه بأن الحكم الماركسي اللينيني في إنقضاء عهد الرأسمالية

ومسايرة الاشتراكية وشيك التحقق، بما أن موازين علاقات القوة في صالحهم. بل أن مفهوم القادة السوفيت لفكرة الوفاق كانت تعني استقرار الأوضاع في أوروبا، بمعنى الاعتراف بالنفوذ السوفيتي في وسط وشرق القارة"[١].

ولقد اعتمد السوفيت في ذلك على قدراتهم التقليدية التي ساهمت بدور فعال في التوسع السوفيتي حتى في أماكن النزاع القطبي. لذلك اتجهت الولايات المتحدة على حس حلفائها الغربيين في زيادة قدراتهم العسكرية التقليدية وترك المظلة النووية على الولايات المتحدة الأمريكية.

إن الاستراتيجية الأمريكية في القارة الأوربية هي استراتيجية تعمل في الاتجاهات الآتية:

١ - زيادة القدرات العسكرية التقليدية الغربية (بمعنى زيادة قدرة الدول الأوربية التقليدية في أوربا) لأن القارة الأوربية سوف تكون مسرح الأحداث الرئيسي في حالة حدوث صدام مسلح. وإذا لم تكن الدول الأوربية قادرة في مواجهة القوة التقليدية الروسية فإن أحداث الحرب العالمية الثانية سوف تتكرر وبسرعة.

٢ - زيادة القدرات العسكرية التقليدية للدول ذات السمعة الجيدة في هذا الشأن خاصة ألمانيا وبريطانيا.

٣ - حث الدول الأوربية على عدم الدخول في المنافسة الدولية وترك ذلك للولايات المتحدة ويؤكد ذلك موقف الولايات المتحدة من برنامج (يوركا النووي) وموقفها أيضاً من لجنة القضاء الأوربي (A.S.A) إذ ترى فيه الدول الأوربية التحدي الأوربي والإصرار على إبراز أوربا المستقلة وترى فيه الولايات المتحدة خروجاً على الاستراتيجية الأمريكية في القارة.

إن هناك أسباباً موضوعية تقتضي حفظ الردع الأوربي قائماً، لذا فإن الهدف الأوربي في الإبقاء على مستوى محدد من الردع قائماً إنما يمثل أفضل الوسائل التي يمكن الاعتماد عليها لمنع نشوب حرب في أوربا، إن الردع الأطلسي والدفاع التقليدي لحلف الناتو هدفه هو حرمان الروس من أي أساس منطقي يجعله واثق من إحراز نصر بحرب خاطفة غير نووية، إن قدرات الردع الأطلسية التقليدية هي شرط من شروط إدارة التنافس في العالم، أن الولايات المتحدة ترغب في إعلام السوفيت بشكل مباشر أنها على استعداد لإستخدام القوة العسكرية عند تعوض أي من مصالحها الهامة لأي خطر في مناطق النزاع الأقليمية"[٢].

---

(١) في ذلك: أ. د. شفيق بسيوني. البروسترويكا من منظور غربي - مجلة المنار. غير محدد التاريخ.

(٢) في احتمالات التدخل الروسي في الشرق من الاتجاه إلى العرب.

د. عماد جاد، مرجع سابق - ص ٢٤٣.

استراتيجيا. العدد ٤٤.

ولا بد أن نشير أن هناك تحفظ أوربي على زيادة نفقاتهم الدفاعية لتطوير أسلحتهم التقليدية وذلك لتفضيلهم الاعتماد على الردع النووي لذلك فقد تطلع هؤلاء الحلفاء إلى حيازة قوة نووية وطنية على غرار النموذج البريطاني والفرنسي.

إن الاستراتيجية الأمريكية في أوربا مازالت حتى اليوم ترى في السوفيت ذلك القلب القادر على السيطرة الأقليمية في أوربا والمنافس في المناطق الأسيوية لذلك فقد عملت هذه الاستراتيجية على جعل هذا القلب قلب ميت عن طريق:

١ - الاعتماد على الحلفاء وتنمية قدراتهم التقليدية.

٢ - تطويقه في المناطق الأقليمية.

٣ - إقامة نظام للردع.

٤ - التأثير عليه إقتصادياً.

رابعاً : تطور العقيدة الأستراتيجية والأمنية للحفاء في ضوء الجيوبولتيكا الأمريكية:

من المتفق عليه أن الدول تتجه إلى تشكيل أحلاف من أجل تحقيق هدف مشترك أو أهداف مرحلية متكاملة، وتتفكك الاحلاف بعد تحقيق الهدف المشترك، ولقد ذهبت معظم الآراء المنطلقة من المدرسة الواقعية إلى التأكيد على أن الأحلاف لا تدوم طويلاً، فلأنها تتشكل لهدف محدد فهي غالباً ما تتفكك بمجرد تحقق هذا الهدف أو الفشل في تطبيقه، أو نتيجة الانتصار في حرب أو الهزيمة، إنها تفتقد فكرة الاستمرارية والدوام.

إن الأحلاف في أحسن صورها لا تتعدى المعاهدة الدولية القائمة على تحقيق أهداف محددة، وينتهي وجود الحلف بإنتهاء أهداف المعاهدة المنشأة له، إلا إذا تم تطوير العقيدة الاستراتيجية للحلف ليتلائم مع التطورات الجديدة وبما يبرر بقاءه مع احتمالية خروج أعضاء أو دخول أعضاء جدد في الحلف. ويمكن ارتباطاً بذلك تقسيم الأحلاف إلى :

١ - أحلاف ذات أهداف مرحلية:

وهي تلك الأحلاف متعددة الأهداف أو أن يكون لها هدف واحد مستمر في العمل به مع تطوير العقيدة الاستراتيجية له، وقد تتسم أهداف الحلف بالمحدودية في فترة الإنشاء ثم تظهر متغيرات تقتضي تطويره للإستفادة من القوة الضاربة للحلف لتحقيق أهداف تتناسب مع التطورات المستقبلية.

ويعتمد إستمرار الحلف على مدى تماسك أعضـــاءه ومـــدة الارتبـــاط الاســـتراتيجي الأيدلوجي فيما بينهم، ومدى اعتماد أطراف الحلف عليه، ومدى أرتبـــاط الحلـــف بـــالنواحي الاقتصادية والسياسية وغيرها.

٢ - أحلاف غير مرنة:

هذا النوع من الأحلاف يتميز بوجود معاهدة تعمل في المجال العسكري ولا تتطرق غالبـاً إلى المجالات الأخرى، وتسيطر عليها قوة قطبية تسيطر بقوة على بقية الأعضاء.

إن هذا الحلف قد يكون له أهداف أيديولوجية، لذلك فتماسك أعضاءه مرهون بمـــدى إيمانهم بأيدلوجية الحلف.

من ناحية أخرى لابد أن نشير أن واضعوا النظرية العامة للأحلاف قد حـــددوا خمســـة عناصر توضح مدى استمرارية الحلف أو انتهائه، إلا أن هذه العنـــاصر لم تعـــرف الثبـــات وفي اعتقادنا أن هناك عوامل أخرى تؤثر في استمرارية عمل الحلف وبقاءه وهي:

١ - حجم المشاركة في اتخاذ القرارات:

فمن الواضح أنه كلما كان هناك ديمقراطية في اتخاذ القرار داخل الحلف كلما كان ذلـك أدعى إلى زيادة الترابط والتماسك داخل الحلف، وهذا الترابط يؤدي إلى الرغبة في اســـتمرارية عمل الحلف.

إن زيادة حجم المشاركة يدفع بالدول المشاركة فيه إلى زيادة الأعتماد عليه والرغبـــة في الإبقاء عليه، فلا تفرض سياسة إلا بإرادة الحلف، حتى أن الدولة القطب قد لا تستطيع أن تســير الحلف إلا بإرادة مجموع أعضاءه لذلك فمن الطبيعي أن نجد أعضاء غير مرتبطين بأهداف الحلـف على إطلاقها.

إن زيادة حجم المشاركة غالباً ما يؤكد ويبرزان حجم المصالح المشتركة للدول الأعضـــاء أكبر من حجم التعارض فيها، لذلك يفضل أعضاء الحلف الإبقاء عليه واستمراريته.

إن زيادة حجم المشاركة إنما يؤكد أيضاً أن أهداف الحلف قد تتطور بناء علـــى زيـــادة الرغبة في التعاون المشترك بعيداً عن النصوص الصريحة في معاهدة الحلف، لذلـــك يظـــل عمـــل الحلف مرهون بمدى تقدير الأعضاء للحلف وللثقة المتبادلة فيما بينهم.

٢ - الارتباط الأيديولوجي والقيمي بين الأطراف:

من الواضح أن الأفكار الايديولوجية لها أهمية قصوى في مدى ترابط عناصر الحلـــف إلا أن هذه الأفكار قد تكون أيضاً من عناصر الضعف داخل التحالف.

إن الارتباط الأيديولوجي قد لا يؤدي إلى الترابط بين أعضاء الحلف ولكن إذا ما تراكمت الأفكار الأيدلوجية وتلاقت الخصائص الاجتماعية لأعضاء الحلف كان ذلك مدعاة لاستقرار عمل الحلف.

٣ - مصداقية الارتباط بين الأطراف في الحلف تاريخياً:

من المتعارف عليه أنه كلما كان هناك ارتباط تاريخي بين الحلفاء وكلما كان ذلك مدعاة إلى قيام نوع من الثقة المتبادلة بينهم.

٤ - مدى نجاح أو فشل تجربة الحلف عند الخصم:

في مجال الأحلاف التنافسية يؤدي أفيار الحلف المضاد إلى زيادة قدرات الحلف المنافس وزيادة الاعتماد عليه لأن نجاحه يعني زيادة حجم التعامل بين أعضاءه إلى أن يتطور الحلف إلى شكل منظمة تعمل في مجالات دفاعية وسياسية واقتصادية وغيرها كما قد يتطور هدفه إلى السيطرة العالمية.

إن أفيار أي نظام يحتوي على فاعلين رئيسين وظهور لاعب رئيسي يؤدي إلى ظهور الأفكار المتعلقة بالسيطرة والسيادة العالمية، الأمر الذي يؤدي إلى الرغبة في تقوية أدوات السيطرة والقضاء على الأعداء المحتملين كتمهيد للسيطرة العالمية.

٥ - التغير في إدراك التهديد:

تظهر الأحلاف عادة في فترات يتحدد في ضوءها العدو الأساسي أو مصدر التهديد الرئيسي، كما يتم تحديد مصدر التهديد المحتمل، لذلك فمع أفيار مصدر التهديد الرئيسي تظهر في الصورة مصادر التهديد المحتملة.

ومن الواضح أن حلف شمال الأطلنطي من طبيعة الأحلاف المرحلية فقد تطور الحلف من أهدافه ومن ثم تحول إلى تكتل يعمل في اتجاهات مختلفة منها أو على رأسها الأهداف الاستراتيجية وهي أيضاً أهداف مرحلية تختلف باختلاف طبيعة الخصم أو ترتيب سلم التعامل مع الأعداء وهو أهم ما يميز هذا الحلف. بل ويبرز حلف شمال الأطلنطي بطبيعة مختلفة عن الأحلاف السابقة عليه.

لقد انتهت فكرة التحالفات السابقة على هذا الحلف بإنتهاء هدفها بل أنها قد انتهت قبل انتهاء هذه الأهداف، وأصيب الحلف المضاد بحالة فقدان لقدراته على الاستمرار وكان ذلك من أهم أسباب استمرارية حلف الأطلنطي بالإضافة إلى أسباب أخرى من أهمها:

١ - زيادة حجم المشاركة في هذا الحلف.

٢ - طبيعة الارتباط الأيدلوجي والقيمي بين أطرافه.

٣ - الترابط التاريخي بين أطرافه.

٤ - العضوية الغير قسرية.

٥ - عدم اتخاذ أية إجراءات قسرية بين أي من أعضائه.

٦ - فشل تجربة الخصم.

٧ - الاتفاق على إدراك الخصم المنتظر.

وهذه الأسباب أدت إلى استمرارية عمل الحلف بالرغم من بعض اتجاهات مناوئة لبعض أعضائه إلا أن هناك نوع من القبول العام لسياسات هذا الحلف عند أعضائه لذلك تأكدت العقيدة السياسية والاستراتيجية للحلف.

١ - تطوير العقيدة الاستراتيجية للحلف:

اتجهت الولايات المتحدة إلى تأكيد أفكار سيكمان الجيوبولتيكية فقد رأي سيكمان أن الهلاك الهامشي الذي يحيط بقلب الأرض مفتاح السيطرة العالمية ولهذا يسمى هذه المنطقة بالإطار Rimland وتضم هذه المنطقة أوربا الغربية والشرق الأوسط والهند وجنوب شرق أسيا.

وفي الاستراتيجية الأمريكية ترى الولايات المتحدة أن المنطقة الأوربية واقعة تحت تهديد عدوين رئيسيين هما الاتحاد السوفيتي وألمانيا بعد توحيدها، ومرحلياً ترى الاستراتيجية الأمريكية ضرورة مواجهة السوفيت وتحويل منطقة قلب الأرض إلى قلب ميت عن طريق سيطرتها على منطقة الإطار ولذلك كان من الضروري أحتواء ألمانيا لتكون منطقة تكتل أوربي لأنه بدون ألمانيا لن يكون هناك إطاراً يحتوي القلب.

ولهذا فإنه إذا كان لقوى الإطار أن تنجح في تكوين وحدة أوربية غربية فإن هذا النجاح يتوقف على أن تفرض أوربا الموحدة سلطانها المطلق على البحر المتوسط كله والشرق الأوسط كخطوة أولى ثم السيطرة على بقية أفريقيا واستراليا تمهيداً للأستيلاء على بقية الاطار في أسيا الجنوبية والشرق. وهذا الأمر يعتبر من باب المستحيل، وإن حدث فلابد أن يكون هناك تفاهم بين الدول الأوربية وقوة قلب الأرض Heartland أو القوة الأمريكية، لذلك عملت الولايات المتحدة على تأكيد فكرة النسق أحادي القوة القطبية، بإخراج السوفيت من المنافسة على السيطرة العالمية، وأسرعت الولايات المتحدة إلى تكوين التكتل الأوربي لمواجهة الروس والقضاء على النزعة الألمانية الاستقلالية وبذلك تكون حققت هدفين:

الأول : استبعاد ألمانيا ولو مؤقتاً من لائحة الأعداء.

الثاني: تطويق منطقة قلب الأرض لإبقاء الروس بعيداً عن قوة السيطرة العالمية.

فألمانيا تعتبر اليوم جغرافياً وبشرياً الحلقة القوية في الدفاع عن أوربا، كما أن وجودها داخل حلف شمال الأطلنطي يجعلها مسرح المواجهة المتوقعة بين الشرق والغرب.

٢ - تطوير العقيدة الأمنية الجديدة لحلف شمال الأطلنطي:

من المتعارف عليه أنه وعلى مدى ٥٠ عاماً قام حلف شمال الأطلنطي بتأمين أطول فترة من السلام في تاريخ أوربا، ومن الواضح أن العالم قد شهد تغيرات جذرية على مدى نصف قرن الماضي، بل أن مفهوم العولمة أثر على مفهوم الأمن الذي أتسع لكي يشمل قضايا اقتصادية واجتماعية وإنسانية.

إن حلف شمال الأطلنطي قد شهد بعض التغيرات وأصبح حلف الأطلنطي الجديد الذي خرج من قمة واشنطن مستعداً للألفية المقبلة، لقد أصبح مستعداً لتطوير فكرة الأمن لتشمل مناطق عديدة في العالم ليؤكد من ثناياها فكرة السيطرة العالمية.

إن الاشارة إلى مدى أرتباط الأمن الأوربي بالأمن الأمريكي هو إشارة ضرورية في هذا المجال عند وجهة النظر الأمريكية فإنهم يسعون إلى التوازن الدفاعي بينهم وبين السوفيت حتى الخمسين سنة الأولى من القرن المقبل وبالتالي فالمحافظة على السلام هو واجب مقدس على الولايات المتحدة وحلفاؤها وتهديد السلم قائم حالياً وهو يتطور وسيواصل تطوره بحيث أن الشكل البشري الذي سوف يتخذه في بداية القرن القادم سيكون مختلفاً تماماً عما هو الآن، ولهذا فإنه من المهم إعداد سبل ووسائل الوقاية منه والرد عليه من الآن.

إن الاتحاد السوفيتي سوف يظل يمثل التهديد الرئيسي الموجه ضد الولايات المتحدة وحلفائها، فقد طور منذ خمسة عشر سنة منظومة أسلحته الهجومية بوتيرة غير منتظرة وحسن تحسيناً هائلاً من قدرة منشآته العسكرية على مقاومة الضربات مع زيادة عظيمة في أداء أسلحته ومن دقتها في مهاجمة الأهداف، وهو بهذا يطرح مشكلة خطيرة بالنسبة لمنشآت الحلفاء الأرضية التقليدية والنووية، مما يفقد القدرة الاستراتيجية للحلفاء آية أهمية، لذلك اتجه قادة الحلف مع انهيار الاتحاد السوفيتي إلى إدخال تغيرات جوهرية على هيكل الحلف وعقيدته العسكرية للتأقلم مع البيئة الأمنية الجديدة في أوربا، ولم يعد الحلف منظمة للدفاع الجماعي، حيث اتسعت أهدافه الأمنية، فأصبحت الحفاظ على الاستقرار في أوربا ومواجهة الاضطرابات في كافة أرجاء العالم.[1].

إن الولايات المتحدة أرتباطاً برغبتها في حماية حلفائها الغربيين تعمل في خمسة أتجاهات رئيسية تتم كلها من ثنايا الحلف وهي:

---

(١) استراتيجيا - العدد ٤٤ - أكتوبر ١٩٨٥، ص ١١.

١ - ترتيب منظومة أسلحتها النووية الهجومية بحيث تتفوق على القدرة الدفاعية الروسية.

٢ - حث الحلفاء الغربيين على بذل المجهود اللازم لتحقيق تطوير وتحسين فيما هو قائم، ويؤكد ذلك ترحيب الولايات المتحدة بالتحسينات التي أدخلها الفرنسيون والبريطانيون على أسلحتهم النووية والتقليدية.

٣ - إن الولايات المتحدة ستواصل العمل في المبادرات الأمنية الاستراتيجية مهما تغيرت الظروف فما زال الروس يشكلون العدو الأول للولايات المتحدة والحلفاء الغربيين.

٤ - الإبقاء على التحالف الاستراتيجي بين الولايات المتحدة ودول أوربا قائماً لإيجاد منظومة دفاعية تعتمد على الأسلحة التقليدية.

٥ - التعاون التام مع الحلفاء من ثنايا الحلف أو من ثنايا العلاقات الخاصة ببعض الدول الأوربية أو الدول الحليفة.

فهناك معلومات مفادها أن الحكومة البريطانية تعد مشاريع قوانين جديدة صارمة تقضي بالسماح للولايات المتحدة بالسيطرة على مناطق استراتيجية في أوربا في حالة نشوب حرب[١].

من ناحية أخرى فقد جعل حلف شمال الأطلنطي من اليابان جبهة عسكرية أنيطت بها مهمة تهديد الروس بشكل مباشر، لذلك تعمل الولايات المتحدة جاهدة لتعزيز قوة اليابان العسكرية. ناهيك عن تعهد اليابان بتأمين غطاء جوي للولايات المتحدة يحول دون فاعلية الصواريخ السوفيتية[٢].

ولابد أن نشير هنا أن بعض الدول الأوربية ذات اتجاهات استقلالية عن الولايات المتحدة كفرنسا. أما فيما يتعلق ببريطانيا فيمكن القول "أن فترة الانقطاع البريطانية عن متابعة النشاطات الفضائية السابق طبعت آثارها الملموسة على أوضاعها الحالية. وتحتاج بريطانيا إلى جهود كبيرة للحاق بمستوى بعض الدول الأوربية كفرنسا مثلاً، قبل أن تفكر في مجاراة التطورات السريعة الواسعة في روسيا أو الولايات المتحدة، وسوف تطرح في يوم من الأيام على المسؤولين البريطانيين مسألة الاختيار بين التعاون الفضائي الأوربي والتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية في المجالات التقنية.." حيث تبدو الانجازات المتعلقة بالفضاء هذه الأيام كصفة من صفات الشخصية الوطنية لكل أمة.

---

(١) كانت مجلة نيو ستيسمان التي نشرت الخبر قد أكدت أن اتفاقاً سرياً أسمه الخطط اللوجستية المشتركة، تم بين لندن وواشنطن وأنه تضمن وعداً بالتخلي عن قسم من المنشآت المدنية والعسكرية البريطانية للأمريكيين.
استراتيجيا - العدد ٤٤ / أكتوبر ١٩٨٥، ص ١٤.

(٢) العدد نفسه - ص ٤٣

إن أوربا في مرحلة تحتاج فيها إلى الولايات المتحدة حيث أن مشاريع الوكالة الأوربية لم تظهر خطورتها بعد، حتى أن اقتراح الرئيس الفرنسي ميتران لفكرة مشروع أوريكا (Eureka) الذي كان يأمل أن يستقطب أهتمام الدول الأوربية في مواجهة الولايات المتحدة في التعاون معهم في مبادرة الدفاع الاستراتيجي لم يلقى أي أهتمام جدي.

والمشكلة ليست إذن بريطانية بمقدار ماهي أوربية وزمن الإختيار لا يزال مفتوحا أمام الدول الأوربية ولن تستطيع أوربا ان تحزم أمرها حتى تزيد من إمكاناتها وقدراتها على حماية أمنها على الصعيد الفردي ثم على صعيد التعاون والمشاركة.

خامسا : عولمة الأطلنطي:

لسنا في حاجة إلى التأكيد أن فكرة عولمة الأطلنطي التي أثيرت بمناسبة أحداث كوسوفا هي تأكيد للجيوبولتيكا الأمريكية الرامية إلى السيطرة عالميا، وعولمة الأطلنطي تعني:

١ - انهيار دور الأمم المتحدة، باعتبارها منظمة للأمن الجماعي وأعتبار الولايات المتحدة وحلفائها مصدر القرار الدولي، وهذا يعني القدرة على التصرف بدون العودة إلى مجلس الأمن وهو ما حدث في كوسوفو، وتؤكد وثائق الحلف التي نشرت بمناسبة الذكرى الخمسين لتأسيسه على أن الأمم المتحدة لم تعد قادرة على التعبير عن طموحات دول الحلف، فهذه المنظمة ضعيفة تنافس حلف الأطلنطي في دول العالم الثالث أن حركة التاريخ تؤكد على ضرورة خلق شكل جديد ومتطور يقوم بإلغاء U.N وإنشاء منظمة جديدة تهدف إلى سيادة نموذج دول الحلف.

٢ - أن الولايات المتحدة هي التي تجيز بشكل أو بآخر الاستراتيجية العالمية الجديدة والتي تجيز للحلف القيام بمهام وعمليات خارج إطار المادة الخامسة من ميثاق الحلف التي قصرت استخدام القوة المسلحة على حالة تعرض أحدى الدول الأعضاء في الحلف فقط للهجوم العسكري.

٣ - تطوير مبادئ الحلف في منظمة للدفاع إلى منظمة للأمن الجماعي، فمن الواضح أن فكرة الدفاع والأمن قد تحولتا إلى فكرة جديدة هي فكرة الدفاع الجماعي Collective defense على أعتبار أنها المهمة الرئيسية للأعضاء في المرحلة المقبلة، وقد أكدت المنافشات التي دارت بمناسبة الذكرى الخمسين لتأسيس الحلف أن النية معقودة على ألا تكون هناك حاجة إلى نشر قوة عسكرية مقدما، وإنما ستلعب وقوات التدخل السريع دورا رئيسيا في استراتيجية الحلف الجديدة، على ان تتشكل هذه القوات من القوات المسلحة متعددة الجنسية (GFAM)

ووظيفتها ضم وإدماج الوحدات المتماثلة من الدول الأعضاء والدول غير الأعضاء إذا لزم الأمر، أما قيادة هذا الكيان فستكون إما للحلف أو للأوربيين.

٤ - توسيع الحلف بضم دول جديدة اليه، فقد وافق مجلس الشيوخ الأمريكي على فكرة التوسيع بأغلبية ٨٠ صوتاً مقابل ١٩ صوتاً، وإن لم يمنع ذلك من الاشارات التي تحد من عملية توسيع الناتو. من ناحية أخرى فهناك أختلاف في وجهات النظر في عمليات توسيع الحلف. فقد يعني البعض بأن عملة توسيع الحلف تعني زيادة قدرات الحلف على العمل، ويعني بها البعض ضم عدد جديد من الأعضاء إليه.

ولا بد أن نشير أن عملية توسيع قدرات الحلف هي فكرة متفق عليها فيما بين الدول الأعضاء في الحلف أرتباطاً بالمتغيرات الدولية الجديدة، ولا خلاف عليها برغم بعض الخلافات الأمريكية - الأوربية حول تفاصيل الاستراتيجية الموخدة للحلف، إلا أن الكل متفق على توثيق المفهوم الاستراتيجي للحلف، حتى أن فرنسا لم تخف في أي لحظة رغبتها في تحديث الحلف فقد أعلن الرئيس الفرنسي جاك شيراك في أول حديث له عقب توليه السلطة في قصر الاليزيه، أن من بين أهدافه تحديث الحلف إلى جانب إنجاح الأتحاد الأوربي وإيجاد قاعدة أوربية للدفاع.

أما الاتجاه الثاني الذي يرى ضرورة ضم دول عديدة للحلف فهو اتجاه أوربي أمريكي أيضاً يهدف إلى:

١ - إدخال دول جديدة مثل المجر، وبولندا، وجمهورية التشيك وغيرها لأضعاف القدرات الروسية المستقبلية، فإدخال هذه الدول في حظيرة الحلف سوف يحبط استراتيجية الروس في السيطرة عليها مرة أخرى، إذن فقد ابرز الدوافع الواضحة هنا هي الرغبة في الانتقام من موسكو والخوف الدائم من أن يأتي التهديد العسكري من الشرق الأوربي.

٢ - زيادة القدرة العسكرية التقليدية للحلف بعد تحديثها.

٣ - ملئ الفراغ في قلب أوربا الوسطى (المركزية) لأن هذا الفراغ سوف يؤدي إلى ظهور مؤامرات جيوبولوتيكية عديدة.

٤ - القضاء على فكرة ظهور أحلاف جديدة في أوربا.

٥ - خفض النفقات الباهظة، لأن الانفاق الجماعي اقل كثيراً من تكاليف الدفاعات الفردية، فالثابت أن أختفاء الاتحاد السوفيتي أفرز معطيات أشد تنوعاً وخطراً على الأمن الأوربي من أي وقت مضى وسيبقى الحلف هو الضمان القوي لهذه التهديدات في بداية القرن المقبل.

إن عولمة الأطلنطي بدءت فعلاً من أوربا عن طريق إعـــادة تشـكيل الجيوســتراتيجية الأمريكية بعد انحلال الاتحاد السوفيتي، وإعادة ترتيب البيت الأوربي من الداخل بالقضاء علـــى بؤر الصراع داخل أوربا.

إن الدراسات الصادرة عن الحلف في دورته الأخيرة تؤكد أن الأفكار الاشتراكية لم تكـن الأساس في السياسة الخارجية في أوربا ولكن الاعتبارات الجيوســتراتيجية هـــي الـــتي أكـــدت لليجبولتيكا الأمريكية، لذلك فهناك من يمثل تهديداً حتى الان. لذلك فالحلف في حاجة لتطويـــر استراتيجياته العالمية بحيث يكون هو المهيمن على الشئون الدولية في الفترة المقبلة.

إن الدراسات الحديثة تؤكد أن تطوير استراتيجية الحلف مرتبطة أرتباطاً وثيقـــاً بفكـــرة العولمة. فالاعتبارات والمنطلقات الجيوبولتيكية هدفها السيطرة العالمية ومن ثم لـــن يتـــم تطويـــر استراتيجية الحلف إلا بالرجوع إلى المقدمات الجيوبولتيكية القديمة والحديثة في ذات الوقت والـــتي تؤكد أن العدو مازال قائماً وأن الأفكار الاشتراكية لم تكن ولم تعد هي الأساس في التعـــامل، إن الخطر الأساسي الذي يهدد مصالح الحلف هو الاتحاد السوفيتي الذي يطبق أيضـــاً اســـتراتيجية هدفها السيطرة العالمية، وهذه السيطرة تبدأ عادة من أوربا ولذلك يجب على الولايات المتحـــدة الإسراع بضم أكبر عدد من الدول الأوربية إلى حظيرة الحلف.

وتسعى روسيا حاليا للبحث عن حلفاء جدد أملاً في أن تستعيد مكانتها الدوليـــة الـــتي انحسرت عقب انتهاء الحرب الباردة وسيطرة الولايات المتحدة على العالم، ولأن لعبة التحالفـــات ترتكز أساساً على وجود مصالح متبادلة فإن هناك محوراً يجمع بين روسيا والصين والهند بـــدأ في الظهور وقد تجلت هذه الصورة بوضوح بعد قصف الناتو لمقر السفارة الصينية والهندية في بلجراد مما دفع بوزير الخارجية الهندي لزيارة روسيا وعقد لقاء مع نظيره الروسي لتنسيق المواقـــف بـــين البلدين وقد تمخض اللقاء عن توقيع شراكة استراتيجية[1] بين الجـــانبين وقـــد توقـــع المحللـــون السياسيون إنضمام الصين قريباً مما يمهد القيام بحلف عسكري يضم الأطـــراف الثلاثـــة. ومـــن الواضح أن السوفيت ماضون في تنفيذ جيوستراتيجية هدفها العودة مرة أخـــرى إلى الســـاحة الدولية بالشكل الذي يمكنها من مواجهة الهيمنة الأمريكية وقد أثر التحالف الهندي - الروســـي على المنطقة الأسيوية، لذلك يرى الخبراء الاستراتيجيون أن هذا الأمر قد يؤدي إلى تصاعد حـــدة الصراع بين الهند وباكستان وخاصة في ظل الأوضاع المتوترة بينهم حاليا ويتوقع الخـــبراء قيـــام

---

(١) وبالفعل بدأ التحالف في تنفيذ الخطوط الأولى بتوقيع شراكة استراتيجية بين الهند وروسيا يمكن من خلاله تنمية القدرات العسكرية الهندية وتطوير الصواريخ بعيدة المدى إلى جانب تزويدها بطائرات ميج ٣٠، ٣١ وقاذفات بعيدة المدى في مقابل حصول روسيا على أموال تساعدها في اجتياز أزمتها الاقتصادية.

إسلام أباد بالانضمام إلى تحالف آخر يحقق ميزان القوة في المنطقة الأمر الذي دفع الولايات المتحدة إلى دفع كوريا الجنوبية لتزويد باكستان بالصواريخ.

إن النظريات الجيوبولتيكية الحديثة إنما تحد من خطورة أتفاق صيني روسي لأن ذلك يعني تطويق قطعة قلب الأرض من الشرق لذلك ترى دول الحلف ضرورة القضاء على البقية الباقية من الأفكار الشيوعية والعمل على تطوير الصين التي تهدد وحدة الحلف في النظام العالمي الجديد[١].

إن الولايات ترى أنه من الضروري إيجاد منطقة أوربية تمثل منطقة رخاء واستقرار، عالم متناسق من الافكار ينسجم في مبادئه، متطابق في مواجهاته الاستراتيجية، متعاون في سياساته الاقتصادية، وهذا المبادئ لن تتحقق أوربا إلا بغطاء من القوة الأمريكية القادرة على تخليص أوربا من بؤر الصدام، ومن ثم تستطيع أن تتجه بعد ذلك للسيطرة العالمية. أنها أولى مراحل عولمة الأطلنطي وكمقدمة للتوسع لابد من ضم دول أعضاء من حلف وارسو القديم وبذلك يغلق الستار الحديدي على منطقة قلب الأرض في أوربا أمام السوفيت ولينقل مركز الألعاب إلى منطقة أسيا بعد ذلك.

والأمر الجدير بالذكر أن عولمة الأطلنطي سوف تمر بمجموعة من المراحل، وهي مرحلة الضم (ضم دول حلف وارسو القديم) أو ابتلاع هذه الدول داخل الحلف، ثم مرحلة الصراع مع السوفيت ومن معهم (العدو المرتقب) ثم مرحلة التوسع بضم المناطق المختلفة في العالم إلى مناطق النفوذ الأمريكي الأوربي.

وتشير المعلومات إلى أن مرحلة الضم وهي المرحلة الحالية سوف تعقبها مرحلة الصراع في منطقتين رئيستين:

١ - المنطقة الأولى: وهي منطقة أسيا (وجنوب شرق أسيا)، وهذه المنطقة هي منطقة الصراع الجديدة فمن المتوقع أن لا يكون للروس مكانا في أوربا بعد ضم دول الحلف السابق ولذلك سوف يعمل جاهدا على عدم غلق الباب الشرقي له لذلك سوف يواجه الحلف في منطقة أسيا، ومن المتوقع ان تقسم المنطقة إلى كتلتين على نفس نمط إنقسام أوربا بعد الحرب العالمية الثانية، ولتصبح هذه المنطقة هي منطقة الصراع المرتقب.

---

(١) العلاقات الصينية الروسية وتحولات النظام الدولي الجديد - د. ثناء فؤاد عبد الله - السياسة الدولة - العدد ١٣٧ - يوليو ١٩٩٩ - ص ٥٢.

٢ – المنطقة الثانية: وهي منطقة الشرق الأوسط بصفة مباشرة، وقد اتخذ حلف الأطلنطي قواره المهم في هذه المسألة من خلال اعتبار منطقة الشرق الأوسط احدى المناطق الحيوية للحلف، وذلك لتداخل المنطقة في نوعين من الاستراتيجيات، الاستراتيجيات الأمريكية المنفردة والخاصة بتأمين المصالح الأمريكية وحدها، واستراتيجيات حلف الأطلنطي.

وتكشف الوثائق عن طبيعة المرحلة الثالثة من استراتيجيات الحلف بعد مرحلة الصراع وهي مرحلة التوسع والضم أو ما يعرف بمرحلة العولمة الانفرادية، وهذا المفهوم يعني سيطرة الحلف على مقدرات العالم، أما المرحلة الأخيرة والمقدر أن تبدأ بعد عام ٢٠٣٠ فهذه ستكون مرحلة الغزو والضم والعودة من جديد إلى مفاهيم الاحتلال العسكري ليتحول العالم إلى دولة عالمية يحكمها مجلس إدارة حلف شمال الأطلنطي.

إن الوثائق تؤكد أن الهدف الرئيسي للأطلنطي في السنوات المقبلة سيتركز في كيفية تطويع الأنظمة والمؤسسات الدولية للقبول بالمبادئ الديمقراطية الغربية وهذا التطويع سيحتاج إلى استخدام كافة الوسائل المتاحة ضد تلك الشعوب التي لا ترضى بحضارة حلف الأطلنطي.

إن حلف الأطلنطي كما ذكر خافير سولانا في الذكرى الأربعين مصمم على تغيير كل ذلك، ومن أجل هذا الهدف فإن الحلف قرر في واشنطن مواصلة مبادراته نحو جنوب شرق آسيا وشرق أوربا، فنحن مصممون أن نلعب دوراً كاملاً في كل هذه المناطق.

إن الارتباط الوثيق بين الأمن الأمريكي والأوربي أكدته أحداث كوسوفا الأخيرة، فأوربا لم تستطع أن تعالج المشاكل الأوربية بدون رد فعل للولايات المتحدة، إن كوسوفا أظهرت مجموعة من النتائج أكدت لحاجة أوروبا للتمسك بالجيوبولتيكية الأمريكية وهي:[1]

١ – العجز الأوربي في المجال الأمني في حدود القارة الأوربية نفسها.

٢ – العجز الأوربي عن أحتواء الأزمات الأمنية الأوربية.

٣ – ضعف الدور الروسي في السياسات الأوربية.

٤ – الحاجة إلى الدور الأمريكي في القضايا الأمنية الأوربية.

كل هذه النتائج افرزت بدورها نوعاً من الهيمنة الأمريكية سواء في السياسات الدولية أو في إطار حلف شمال الأطلنطي.

---

(١) د. حسن ابو طالب – حرب كوسوفو وحدود التغير في النظام الدولي – السياسة الدولية – العدد ١٣٧ – يوليو ١٩٩٩ – ص ٩٦.

"وعلى الرغم من المحاولات المكثفة التي بذلتها الولايات المتحدة لأقناع الأعضاء الأوربيين في الحلف برؤيتها للمفهوم الاستراتيجي الجديد للحلف، فإن هذه الدول بدأت تعبر بقوة عن رؤيتها الذاتية المغايرة للرؤية الأمريكية وقد تجسد ذلك بوضوح في اجتماع وزراء خارجية دول الحلف في بروكسل ديسمبر ١٩٩٨"[١] إلا أن قمة واشنطن الأخيرة قد اقرت الرؤية الأمريكية للمفهوم الاستراتيجي للحلف بشكل فعلي.

خاتمة:

ومن المتعارف عليه في مجال الجيوبولتيك أن الاستراتيجية الأمريكية مازالت حتى الآن مرتبطة بالنظريات الجيوبولتيكية التي تحذر من القوة التقليدية الروسية باعتبار المنطقة التي يشغلها الروس هي بمثابة قلب الأرض الاستراتيجي[٢].

ومن نظريات ماكيندر ١٩٠٤ ، ١٩٤٣، والتي ارتبط اسمه بنظرية قلب الأرض Heartland ، وهي النظرية التي شغلت الباحثين الألمان والأمريكيين في ذات الوقت. فقد أوضح ماكيندر أن تاريخ العالم سوف يصفه دائماً سكان المناطق الداخلية العظيمة التي تشمل سهول شرق أوربا وسهول شرق ووسط أسيا، ويرى ماكيندر أن الجزء الداخلي من أور آسيا (موجه لأن) هو مركز العالم وقد حذر من أن حكم أكبر كتلة أرضية في العالم يمكن أن يعطي الأساس لتبني السيطرة العالمية، وقد حذر ماكيندر من روسيا أو ألمانيا. وحذر أيضاً من قيام تحالف بينهما ولذلك فقد جاء حلف الناتو من الأحلاف الأمريكية الأوربية تطبيقاً لستراتيجية أمريكية تعمل على تطويق القوة الروسية أو في عبارة أخرى تطويق قلب الأرض. وحتى في أفكار كارل هاوسهوفر نجده يحذر من القوة الروسية ويدعوا إلى صداقة ألمانية سوفيتية للسيطرة العالمية، كما التقى هاوسهوفر مع أفكار ماكيندر في شأن شرق أوربا، فقد كان ماكيندر يرى أن احتمال أستيلاء الألمان على شرق أوربا أو استيلاء الروس عليها هو مقدمة للسيطرة العالمية وتدعيما لنفوذ الدولة المنتصرة في التحكم في قلب الأرض وبعبارة أخرى كان ماكيندر يرى أن شرق أوربا هو مفتاح التحكم في الجزيرة العالمية (جزيرة العالم) لأنه الطريق إلى قلب الأرض.

وارتباطاً بافكار الجيوبولتيك سوف تبقى روسيا في منطقة هي بمثابة القلب الذي ينشد الأطراف في أوربا الغربية والشرقية معاً ولذلك سوف يبقى حلف شمال الأطلنطي طالما بقيت الاستراتيجية السوفيتية قائمة.

---

(١) د. عماد جاد – حلف الأطلنطي والحرب في البلقان – السياسة الدولية – العدد ١٠٠ ص ١٠٢.

(٢) في ذلك:

John Agvew – Geopolitics Re- Visioning world Politics – London and New York 1998

ومجموعة الخرائط الجيوبولتيكية مصدرها:

Gerald Chaliand – Zean – Pierre Rageau – Atlas Strategique Geopolitique des rapports de forces dans le mande.

Le monde selon Mackinder (1943)

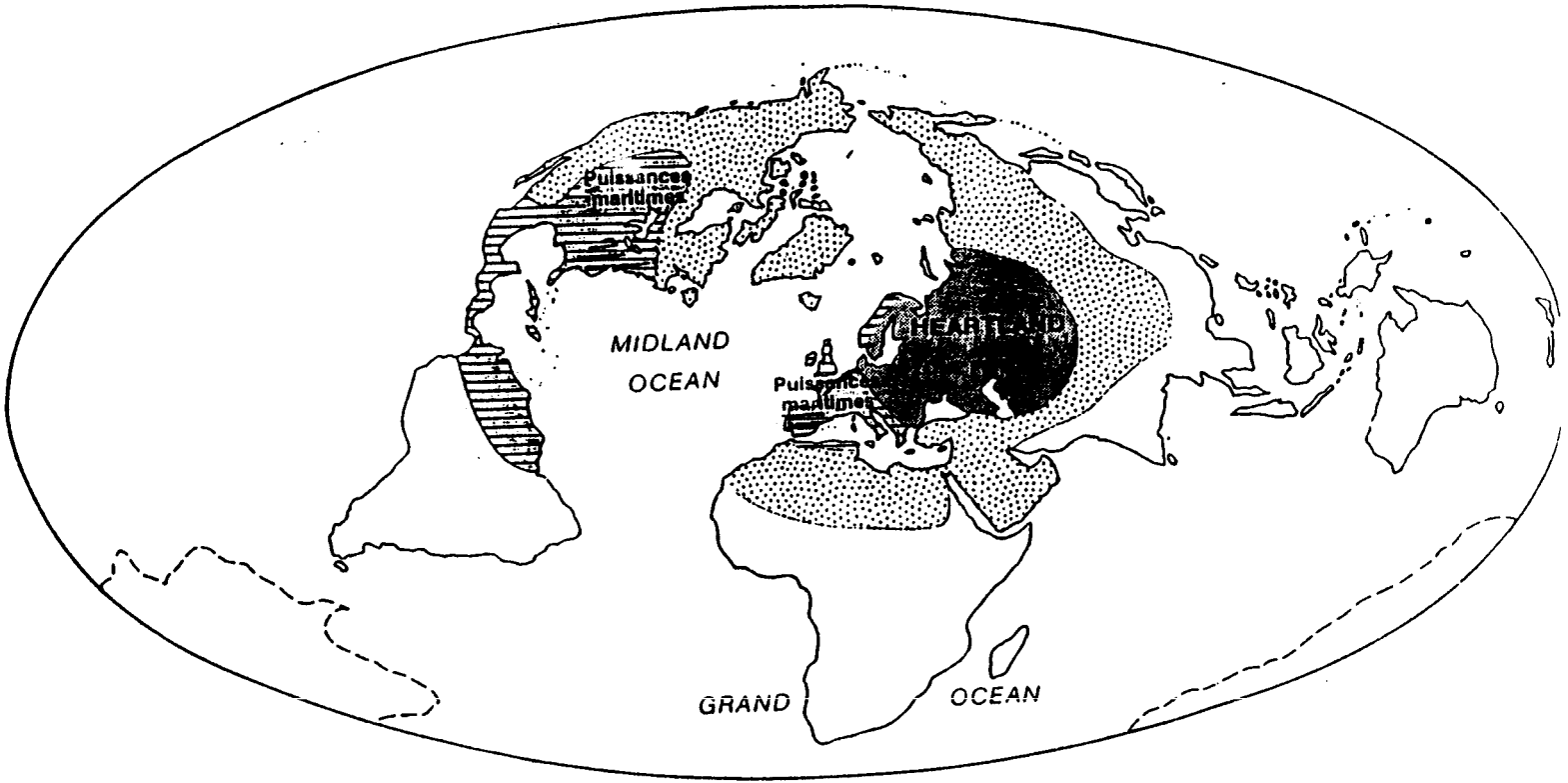

Le monde selon Mackinder (1904)

Le contrôle de la zone pivot *(Heartland)*, masse continentale eurasienne, constitue une menace potentielle pour les puissances maritimes.

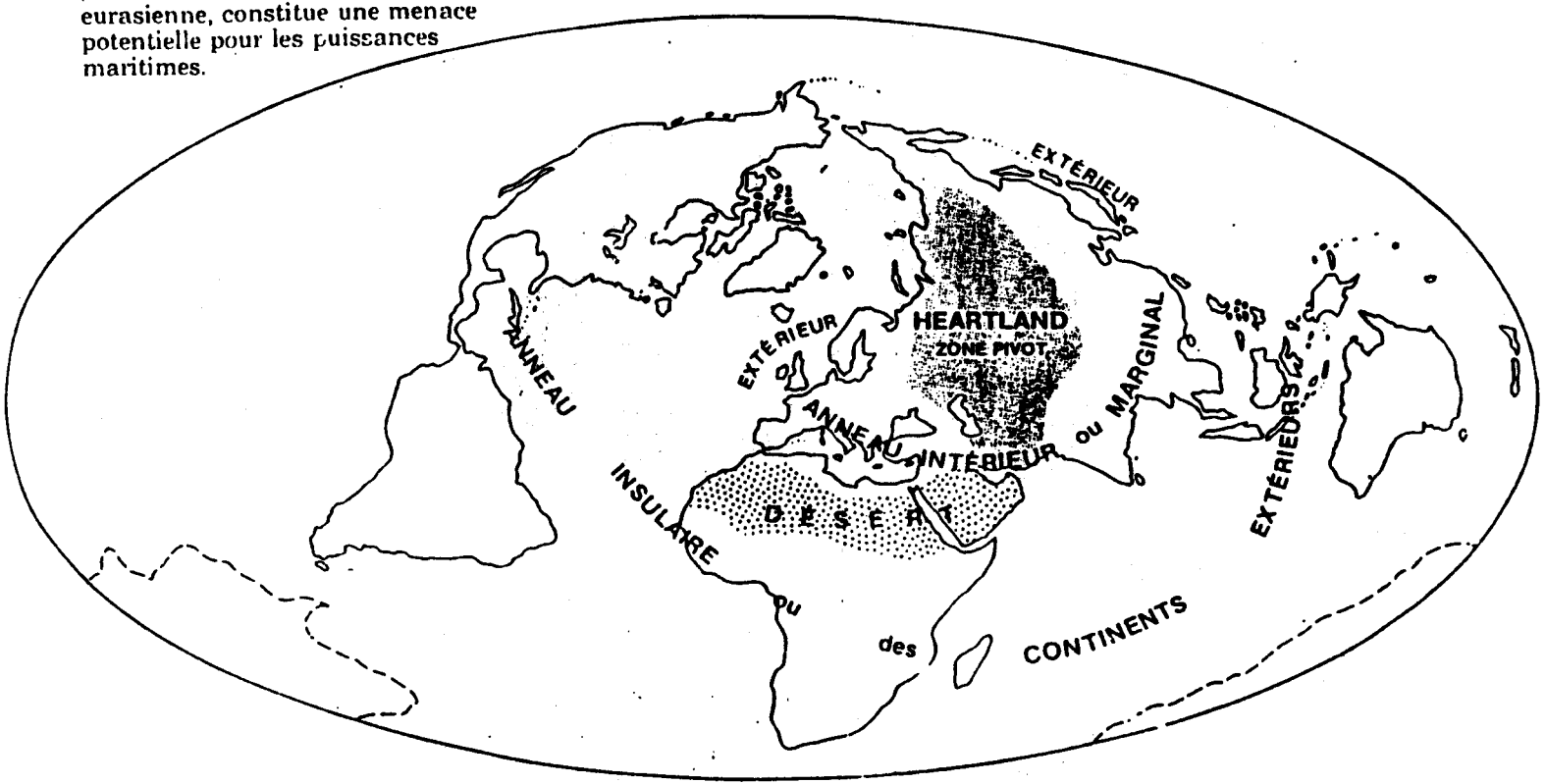

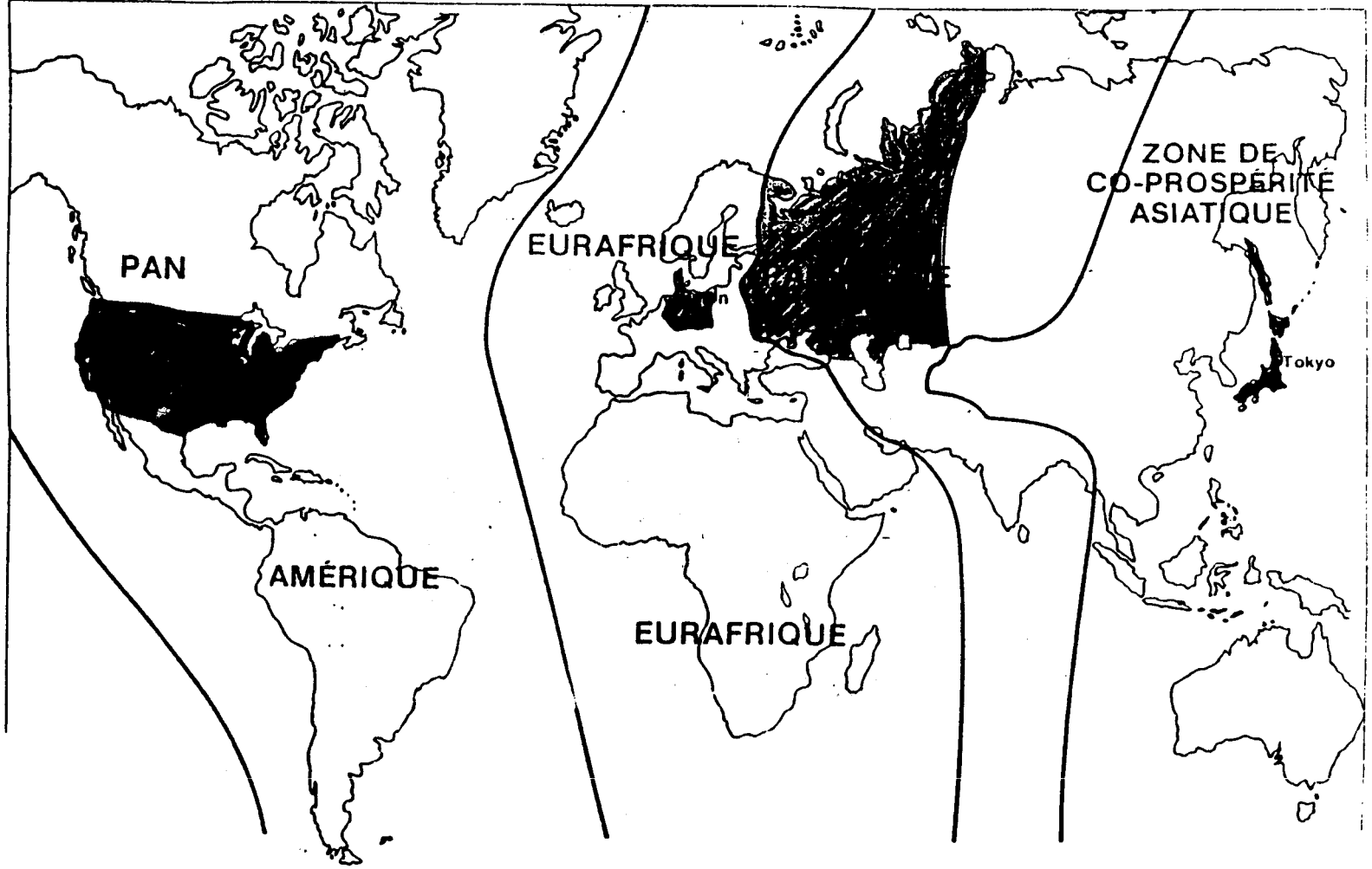
PAN
AMÉRIQUE
EURAFRIQUE
EURAFRIQUE
ZONE DE
CO-PROSPÉRITÉ
ASIATIQUE
Tokyo

En tenant compte d'évolutions ou d'extensions inévitables, permanence des éléments de base mis en évidence par les géopoliticiens avant la seconde guerre mondiale:

- *Puissance continentale ou Heartland.*
- *Puissance maritime.*
- *Anneau maritime ou Rimland.*

Apparition depuis 1945, avec l'indépendance de nouveaux États en Asie et en Afrique d'une ceinture intertropicale fragile et instable:

- *Anneau de sous-développement et de pauvreté.*

Émergence progressive d'un *anneau austral développé* lié à la puissance maritime.